الإيمان باليوم الآخر

○ أحوال البرزخ
○ أشراط الساعة
○ أحوال القيامة

تأليف
محمد بن إبراهيم الحمد

ح دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع ١٤٢٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الحمد، محمد بن إبراهيم
الإيمان باليوم الآخر - الرياض
١٨٤ص؛ ١٧×٢٤سم
ردمك: ٠-٥٤-٨٧٤-٩٩٦٠
١- القيامة ٢- الإيمان (الإسلام) أ- العنوان
ديوي ٢٤٣ ٢٢/٤٦٩٦

رقم الإيداع: ٢٢/٤٦٩٦
ردمك: ٠-٥٤-٨٧٤-٩٩٦٠

الطبعة الثانية

١٤٢٣/٢٠٠٢م

دار ابن خزيمة

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية، الرياض، الملز
شارع الإحساء، غرب حديقة الحيوان
هاتف: ٤٧٣٠٧٨٨/٤٧٦٩٩٣٢
فاكس: ٤٧٦٠٧٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على إمام المتقين، وسيد المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد

فهذه فصول موجزة حول ركن من أركان الإيمان، وأصل من أصول الدين، وعقيدة من عقائد الإسلام العظام.

ألا وهو الإيمان باليوم الآخر، وما يتعلق به، ويجري مجراه، ويلتحق به.

ذلك اليوم العظيم، الذي أجمع المسلمون على وقوعه، وتظاهرت نصوص الشرع في بيان أهميته، وذكر تفاصيله، ووجوب الإيمان به، والحذر من إنكاره.

والحديث في هذا الشأن عبر الصفحات التالية سيسير على الخطة التالية:

تمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.

أما التمهيد فيشتمل على تعريفات ومقدمات توضح مفهوم اليوم الآخر، وتبين أهميته، وثمراته.

كما يشتمل على إعطاء صورة موجزة عن مصطلح السمعيات؛ لأن

الحديث عن اليوم الآخر يدور ـ في غالبه ـ في فلك السمعيات، التي يقصد بها النقل، أو أدلة الكتاب والسنة مما سيرد ذكره هناك.

كما سيكون ضمن الحديث في ذلك بيان لمصطلح العقليات، أو ما يسمى بالأدلة العقلية.

أما الفصل الأول فسيكون الحديث فيه عن الحياة البرزخية والروح.

وأما الفصل الثاني فسيكون الحديث فيه عن أشراط الساعة.

وأما الفصل الثالث فسيكون الحديث فيه عن أحوال اليوم الآخر مما سيكون من قيام الساعة وما بعد ذلك.

وأما الخاتمة فستشتمل على ملخص لأهم ما ورد في هذه الصفحات.

وأخيرا أسأل الله أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يرزقنا حسن الاستعداد ليوم المعاد، والله المستعان وعليه التكلان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

محمد بن إبراهيم الحمد
الزلفي ٢٣/ ٧/ ١٤٢٢هـ
ص.ب ٤٦٠
الرمز ١١٩٣٢

تمهيد: تعريفات ومقدمات

أولاً: تعريفات حول اليوم الآخر

١- تعريف اليوم الآخر: هو يوم القيامة الذي يبعث فيه الناس للحساب والجزاء.

٢- سبب تسميته بذلك: لأنه لا يوم بعده؛ حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم.[١]

٣- معنى الإيمان باليوم الآخر: التصديق الجازم بإتيانه، وبجميع تفاصيله، والعمل بموجب ذلك.

٤- مفهوم الإيمان باليوم الآخر: الإيمان باليوم الآخر يشمل كل ما ورد في أخبار ذلك اليوم، وما يتعلق به؛ فيدخل في ذلك الإيمان بأشراط الساعة وأماراتها التي تكون قبلها، وبالموت وما بعده من فتنة القبر، وعذابه، ونعيمه، وبالنفخ بالصور، وخروج الخلائق من القبور، وبالجزاء، والحساب، وما في موقف القيامة من الأهوال، والأفزاع، وتفاصيل المحشر، ونشر الصحف، ووضع الموازين، وبالصراط، والقنطرة، والحوض، والشفاعة، وغيرها، وبالجنة ونعيمها، الذي أعلاه النظر إلى وجه الله - عز وجل - وبالنار وعذابها الذي أشده حجب أهلها عن ربهم - عز وجل[٢].

---

(١) انظر رسائل في العقيدة للشيخ محمد ابن عثيمين ص ٢٩.
(٢) انظر أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص ٦٥.

٥- أسماء اليوم الآخر: عدد بعض العلماء أسماء اليوم الآخر، ومن هؤلاء القرطبي ـ رحمه الله ـ حيث ذكر ما يزيد على خمسين اسماً؛ وشرع في شرحها.

ومنهم ابن كثير ـ رحمه الله ـ حيث ذكر لليوم الآخر أكثر من ثمانين اسماً [١].

٦- ومن أشهر تلك الأسماء ما يلي:

١- الساعة
٢- يوم القيامة
٣- يوم الوعيد
٤- يوم الدين
٥- يوم الحسرة
٦- الدار الآخرة
٧- يوم التناد
٨- يوم الجمع
٩- يوم الفصل
١٠- يوم الحساب
١١- يوم الخلود
١٢- يوم الخروج
١٣- يوم التغابن
١٤- يوم التلاق
١٥- يوم الآزفة
١٦- الآزفة
١٧- الواقعة
١٨- الحاقة
١٩- القارعة
٢٠- الطامة الكبرى
٢١- الصاخة
٢٢- يوم البعث
٢٣- الغاشية.

---

(١) انظر النهاية ـ الفتن والملاحم ـ ١/ ٢٥٥-٢٥٦، وانظر اليوم الآخر القيامة الكبرى د.عمر الأشقر ص ٢٠-٣٠، وأشراط الساعة د.يوسف الوابل ص٣٧-٣٩.

ثانياً: أهمية الإيمان باليوم الآخر

للإيمان باليوم الآخر أهمية عظمى، ومما يدل على ذلك ما يلي:

١- **أنه أحد أركان الإيمان الستة**: جاء في حديث جبريل المشهور قوله ﷺ عند ما سأله جبريل - عليه السلام - عن الإيمان: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(١).

٢- **كثرة وروده في نصوص الشرع**: فقل أن تمر على صفحة من القرآن الكريم إلا وتجد فيها حديثاً عن اليوم الآخر، وما فيه من ثواب وعقاب.

٣- **كثرة ارتباطه بالإيمان بالله - تعالى -**: فكثيراً ما يرد في القرآن الكريم، والسنة النبوية ذكر اليوم الآخر مرتبطاً بالإيمان بالله.

قال الله - تعالى -: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال النبي - عليه الصلاة والسلام -: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**»(٢).

٤- **كثرة الثناء على المؤمنين به، والذم للكافرين به**: قال الله - تعالى - في وصف المؤمنين: ﴿وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٣)﴾ [النمل: ٣].

---

(١) رواه مسلم (٨).

(٢) رواه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

وقال في وصف الكافرين: ﴿وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [هود: ١٩].

٥- **كثرة المؤلفات التي تحدثت عنه:** حيث أفرد العلماء ـ رحمهم الله ـ مصنفات خاصة باليوم الآخر، وذكر تفاصيله.

٦- **كثرة أسماء اليوم الآخر:** فلليوم الآخر أسماء كثيرة، والسر في ذلك عظم أمره، وكثرة هوله.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ : «كل ما عظم شأنه تعددت صفاته، وكثرت أسماؤه، وهذا مهيع[1] كلام العرب.

ألا ترى أن السيف لما عظم عندهم موضعه، وتأكد نفعه لديهم وموقعه جمعوا له خمسمائة اسم، وله نظائر؛ فالقيامة لما عظم أمرها، وكثرت أهوالها سماها الله ـ تعالى ـ في كتابه بأسماء عديدة، ووصفها بأوصاف كثيرة»[2].

هذا وقد ورد شيء من أسماء ذلك اليوم في فقرة سابقة.

٧- **ما يترتب على الإيمان به من الثمرات الجليلة، والآثار العظيمة:** وهذا ما سيتبين في الفقرة التالية.

---

(١) في الأصل: جميع، والصواب ما ذكر كما في نسخة أخرى.

(٢) التذكرة للقرطبي ص ٣٤٢ ـ ٤٤٢؛ التذكرة ص ٢٤٤-٢٦٨.

ثالثاً: ثمرات الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر يثمر ثمراتٍ جليلةً، وأخلاقاً جميلة، وعبوديات متنوعة، وآثاراً حميدة تعود على الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة.

ومن ذلك ما يلي:

١ - **أداء عبادة الله ـ عز وجل ـ**: فالإيمان باليوم الآخر مما تعبدنا الله ـ تعالى ـ به.

وكمال المخلوق في تحقيقه العبودية لربه.

٢- **زيادة الإيمان**: فالإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان الستة، التي لا يصح إيمان بدونها. وكلما زادت معرفة العبد بـه ازداد إيمانه وقوي يقينُه، وعلت درجته.

٣- **انبعاث الرجاء والخوف**: فالإيمان باليوم الآخر يحمل على فعل الطاعات؛ رجاءً لثواب ذلك اليوم، ويحمل على ترك المعاصي؛ خوفاً من عقاب ذلك اليوم.

فإذا تمت معرفة الإنسان بتفاصيل ذلك، وما فيه من النعيم المقيم لأهل الطاعة، وما فيه من النكال والعذاب الأليم لأهل المعصية ـ كان ذلك أعظم الدوافع لفعل الخير، واجتناب الشر.

٤ - **العلم بفضل الله، وعدله، وحكمته**: حيث يجازي من يستحق العذاب بعدله، ويجازي من يستحق الثواب بفضله.

وإنما يُعلم ذلك بمعرفة ما يكون في الآخرة من الجزاء والحساب.

٥- **الاعتدال في حال السراء والضـراء**: فالمؤمن يلزم الاعتدال في

هذه الأحوال؛ فلا تطغيه النعمة، ولا تقنطه المصيبة؛ فإن كانت السراء أعدَّ لها الشكر، وإن كانت الضراء أعد لها الصبر.

قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد غير المؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**»[١].

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: «فاعلم أن ذكر الموت يورث استشعار الانزعاج من هذه الدار الفانية، والتوجه في كل لحظة إلى الدار الآخرة الباقية.

ثم إن الإنسان لا ينفك عن حالتي ضيق وسعة، ونعمة ومحنة، فإن كان في حال ضيق ومحنة فَذِكْرُ الموت يسهل عليه بعض ما هو فيه؛ فإنه لا يدوم، والموت أصعب منه، أو في حال نعمة وسعة فَذِكْرُ الموت يمنعه من الاغترار بها، والسكون إليها؛ لقطعه عنها»[٢].

٦- **قيام الأخلاق الجميلة**: فالإيمان باليوم الآخر يورث للإنسان أخلاقاً جميلة؛ فيورثه ـ على سبيل المثال ـ خُلُق البذل، والإنفاق؛ لعلمه بأن ما يقدمه في هذه الدنيا سيجده عند الله في الآخرة خيراً وأبقى؛ فتراه يُؤْثِر أعمال البر بجانب من ماله ولو كان به خصاصة، وتراه ينفق إنفاق من لا يخشى الفقر.

---

(١) رواه مسلم (٢٩٩٩) من حديث صهيب.

(٢) التذكرة ص٩ ـ ١٠.

والإيمان باليوم الآخر ـ كذلك ـ يورث صاحبه خلق الشجاعة؛ فتراه يُقْدِم في سبيل الله غير هياب من الموت؛ لعلمه بأن الموت لن يأتي إلا في وقته، وليقينه بأن الموت إنما هو انتقال من حياة مخلوطة بالمتاعب والمكاره إلى حياة أصفى لذة، وأهنأ راحة، وأبقى نعيماً.

والإيمان باليوم الآخر يورث صاحبه خلق التواضع؛ لعلمه بأن الكبر لله وحده، وبأن المتكبرين أذلُّ الناس يوم القيامة وعلى هذه النبذة من الأخلاق فقس.

٧- تسلية المؤمن عما يفوته في هذه الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة:

وبذلك لا ينزعج لحلول مكروه، أو فوات محبوب؛ لأنه يرجو العوض من الله ـ عز وجل ـ فيدعوه ذلك إلى السلو، والراحة، وترك التسخط.

❊ ❊ ❊

رابعاً: وقفة حول مصطلح (السمعيات)، أو (النقل)

هذا المصطلح يَرِدُ كثيراً في كتب العقائد، ويقابله مصطلح آخر وهو مصطلح (العقل).

ومصطلح السمعيات من مصطلحات أهل الكلام، ولا مشاحة في الاصطلاح ما دام المعنى صحيحاً، وإن كان الأولى استعمال المصطلح الشرعي.

وبما أن هذا المصطلح يرد كثيراً، وأن معظم مباحث هذا الكتاب داخلة في باب السمعيات ـ فهذه وقفة حوله، ثم يُعرَّج بعد ذلك إلى ما يقابله وهو (العقل) ثم يبين أنه لا تعارض بينهما.

أ- **تعريف السمعيات**: هي كل ما ثبت بالسمع ـ أي بطريق الشرع ولم يكن للعقل فيه مدخل.

أو يقال: هي الأدلة المسموعة المنقولة عن كتاب الله العزيز، والسنة المطهرة.

ب- **أسماء ترادف هذا المصطلح**: هناك أسماء أو مصطلحات ترادف مصطلح السمعيات؛ حيث تدل عليه، ويعبر بها عنه، فيكون المعنى المقصود واحداً.

ومن ذلك، ما يلي:

١- السمع
٢- النقل
٣- الأدلة السمعية
٤- الأدلة النقلية
٥- الأدلة المأثورة
٦- الأدلة الخبرية

٧- الأدلة من الكتاب والسنة ٨- الأدلة الشرعية

٩- الشرع ١٠- الخبر

فكل هذه الألفاظ تدل على معنى واحد كما مر.

جـ- ما الواجب في السمعيات؟: الواجب الإيمان بها، وتصديقها سواء أدرك الإنسان معناها أم لم يدركه؛ فعليه طاعة الأمر، وتصديق الخبر.

د- فائدة الإيمان بالسمعيات: تزيد الإيمان، وتقوي العلم، وتدل على التسليم لله، وتصديق خبره، والانقياد لأمره.

* * *

خامساً: وقفات حول العقل:

أ- تعريف العقل: هو نور روحاني، به تدرك النفس العلوم الضرورية، والنظرية.

هذا تعريف العقل عند صاحب القاموس، وهو من أجمع التعاريف وأحسنها.[١]

ب- ابتداء وجود العقل: يقول الفيروز بادي: «وابتداء وجوده عند اجتنان الولد، ثم لا يزال ينمو إلى أن يكمل عند البلوغ»[٢].

ج- من إطلاقات العقل: يطلق العقل على العلم، أو بصفات الأشياء من حسنها وقبحها، وكمالها ونقصانها.

أو العلم بخير الخيرين وشرِّ الشرَّين، أو مطلقٌ لأمور أو لقوة بها يكون التميز بين القبيح والحسن، ولِمعانٍ مجتمعه بمقدمات يستتب بها الأغراض والمصالح، ولهيئة محمودة للإنسان في حركاته وكلامه.

د - مَنِ العاقل؟: هو الجامع لأمره، الذي يحبس نفسه عن هواها.

هـ- لم سمي العقل بهذا الاسم؟: لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، ويحجزها عما لا ينبغي من اعتقاد فاسد، أو فعل قبيح.[٣]

و - منزلة العقل في الإسلام: لقد أعلى الإسلام منزلة العقل، ورفع مناره؛ فالعقل في الإسلام أساس التكليف، ومناط الأهلية.

---

(١) القاموس المحيط للفيروزبادي ص ١٣٣٦.

(٢) المرجع السابق

(٣) انظر لسان العرب ٨/ ٢٧، والقاموس المحيط ص ١٣٣٦.

والقران الكريم مليء بالأمر بالتعقل، والنظر، والتدبر، والثناء على من كانوا كذلك.

كما أنه مليء بذم الذين عطلوا عقولهم، وركنوا إلى التقليد الأعمى، واتبعوا ما ألفوا عليه آباءهم من غير ما بينة أو أثارة من علم.

ز ـ **وظيفة العقل**: العقل نور أودعه الله في الإنسان؛ ليكشف لها الأشياء، والحقائق الواقعة، وليفهم به عن الله ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولينظر من خلاله في ملكوت السموات والأرض، وليدرك به أسرار الكون، ويتدبر في نفسه وآيات الله من حوله، ويصل من خلاله إلى كثير من أمور الاعتقاد في حدود طاقته، ويبحث من طريقه إلى ما يعود عليه بالنفع في دينه ودنياه.

هذه ـ بإجمال ـ وظيفة العقل.

ح- **حدود العقل**: فمع أن الإسلام ينظر تلك النُظُرة العظيمة للعقل، ومع أن للعقل وظيفته العظمى ـ كما مر ـ إلا أن الإسلام يحدد مجال العقل، وذلك صوناً للطاقة العقلية أن تتشتت أو تتبدد وراء الأمور الغيبية التي لا يستطيع العقل إدراكها أو الوقوف على حقيقتها، كالذات الإلهية، والروح، والجنة، والنار، وكيفية صفات الله ـ عز وجل ـ وغيرها؛ ذلك أن العقل البشري له مجاله الذي يعمل فيه؛ فإذا ما حاول أن يتخطى هذا المجال فإنه سَيَضِل ويتخبط في متاهات لا قبل له بها؛ فمجال العقل كل ما هو محسوس.

أما الغيبيات التي لا تقع تحت مداركه فلا مجال للعقل أن يخوض فيها، ولا يخرج عما دلت عليه النصوص الشرعية في شأنها.

ط- أهل السنة وسط في باب العقل بين الذين ألَّهوه والذين ألغوه: فالوسطية شأنهم في جميع أمورهم، ومن بينها العقل، فأهل السنة لا يُلْغُون العقل، ولا ينكرونه، ولا يحجرون عليه.

بل يعتقدون أن للعقل مكانة سامية، وأن الإسلام يقدر العقل، ويتيح له مجالات النظر والتفكير.

وفي الوقت نفسه لا يؤلهون العقل، ولا يجعلونه حاكماً على نصوص الشرع؛ بل يرون أن للعقل حدّاً يجب أن يقف عنده، ؛ لكي لا يكون وبالاً على صاحبه.

أما غيرهم فما بين مُفْرِط ومُفَرِّط في هذا الباب؛ فالمعتزلة، والفلاسفة، وأهل الكلام عموماً ـ ألَّهوا العقل، وجعلوه مصدراً للتلقي؛ فما وافق العقل ـ أو ما يسمونه بالقواطع العقلية ـ قبلوه، وما خالف ذلك ردوه أو أوّلوه، مع أن عقولهم مختلفة، ومداركهم متفاوتة، بل إن الواحد منهم قد يختلف حتى مع نفسه.

وفي مقابل هؤلاء نجد أن أهل الدجل والخرافة قد ألغوا العقل، وقبلوا ما لا يقبل ولا يعقل.

وذلك كحال كثير من الخرافيين .

والمجال لا يتسع لذكر شيء من تلك الخرافات التي تنطلي على أولئك[١].

ي- العقل في مجال العقيدة: لا يجوز تعطيل العقل في مجال العقيدة وغيرها؛ إلا أنه لا يجوز للعقل ـ كما مر ـ أن يتجاوز وظيفته، ويجنح في أودية الخيال الفاسد، ويتيه مع الأوهام الكاذبة؛ فالخيال والوهم لا يصلحان أساسا للعقيدة والمعرفة الصحيحة.

والعقيدة الإسلامية حقيقة ثابتة دل عليها الشرع بالقواطع من الأدلة النقلية.

والعقل السليم لا يعارضها على القاعدة التي تقول:

«العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح»

فإذا كان العقل هو الذي دلنا على معرفة الله ـ عز وجل ـ وعلى أن محمدا رسول الله حقاً ـ فإن أي معارضة تُفْرَض بين العقل وما جاء في الكتاب والسنة، أو رَدّ خبر الله، وخبر رسوله؛ بحجة مخالفتها للعقل ـ تعد مناقضة صريحة لما دل عليه العقل نفسه[٢].

وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة في الفقرة التالية:

---

(١) انظر عقيدة أهل السنة والجماعة للكاتب ص٦٣-٦٥.

(١) انظر العقل والنقل عند ابن رشد، د. محمد أمان ١٢-١٥.

سادساً: بين العقل والنقل:

القاعدة العريضة العامة المشهورة تقول: «العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح».

والعقل الصريح: هو الخالي من الشبهات والشهوات، والنقل الصحيح هو السالم من العلل والقوادح.

القاعدة الأخرى تقول: «إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل».

قال شارح الطحاوية ابن أبي العز الحنفي ـ رحمه الله ـ: «فلا يُتَصور أن يتعارض عقل صريح ونقل صحيح أبداً»[(١)].

وقال: «إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل؛ لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين، ورفعهما رفع النقيضين، وتقديم العقل ممتنع؛ لأن العقل دل على صحة السمع، ووجوب قبول ما أخبر به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

فلو أبطلنا النقل لكنا أبطلنا دلالة العقل، ولو أبطلنا دلالة العقل لم يصح أن يكون معارضا للنقل؛ لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الأشياء؛ فكان تقديم العقل موجباً عدم تقديمه؛ فلا يجوز تقديمه.

وهذا بيِّنٌ واضح؛ فإن العقل هو الذي دل على صدق السمع وصحته، وأنَّ خبره مطابق لمخبره؛ فإن جاز أن تكون الدلالة باطلة لبطلان النقل لزم أن لا يكون العقل دليلاً صحيحاً، وإذا لم يكن دليلا صحيحاً لم

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٩-٢٠٠.

يجز أن يتبع بحال، فضلاً عن أن يقدم؛ فصار تقديم العقل على النقل قدحاً في العقل.

فالواجب كمال التسليم للرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والانقياد لأمره، وتلقي خبره، بالقبول والتصديق دون أن نعارضه بخيال باطل نسميه معقولاً، أو نـُحمِّله شبهة أو شكّاً، أو نقدم عليه آراء الرجال، وزبالة أذهانهم؛ فنـُوَحِّده بالتحكيم والتسليم والإذعان كما نـُوَحِّد المُرْسِل بالعبادة، والخضوع، والإنابة، والتوكل»[1].

* * *

(١) نفس المرجع السابق.

الفصل الأول
في البرزخ والروح

وتحته أربعة مباحث

المبحث الأول: الموت، والبرزخ، والقبر.

المبحث الثاني: نعيم القبر وعذابه.

المبحث الثالث: الروح

المبحث الرابع: إنكار عذاب القبر ونعيمه والرد على من زعم ذلك

المبحث الأول

الموت، والبرزخ، والقبر

أولاً: المـــوت:

* **تعريف الموت**: الموت ضد الحياة، ونقيضها.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ في تعريفه: «قال العلماء: الموت ليس بعدمٍ مَحْض، ولا فناء صِرْف، وإنما هو انقطاع تعلُق الروح بالبدن، ومفارقته، وحيلولة بينهما، وتَبَدُّل حالٍ، وانتقال من دار إلى دار». [١]

* **الموت يأتي فجأة**: قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: «وأجمعت الأمة على أن الموت ليس له سنٌ معلوم، ولا زمن معلوم، ولا مرض معلوم. وذلك ليكون المرء على أهبة من ذلك، مستعداً لذلك». [٢]

ثانياً: البـــرزخ:

* **تعريفه في اللغة**: البرزخ في كلام العرب هو الحاجز بين الشيئين. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ [الفرقان: ٥٣]: أي حاجزاً.

* **البرزخ في الشرع**: «هو الدار التي تعقب الموت إلى البعث. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]. قال مجاهد: هو ما بين الموت والبعث.

---

(١) التذكرة ص ٤.

(٢) التذكرة ص ١٠.

وقيل للشعبي: مات فلان، قال: ليس هو في دار الدنيا، ولا في الآخرة»[١].

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : «البرزخ: هو ما بين الدنيا والآخرة، وهذا البرزخ يُشْرِف أهله فيه على الدنيا والآخرة»[٢].

ثالثاً: القـبـر:

أ - تعريفه: القبر مدفن الإنسان، وجمعه قبور، والمقـبُرَةُ بفتح الباء وضمها موضع القبور، والمقبَر: موضع القبر[٣].

ب - فتنة القبر: الفتنة تطلق على عدة معان، منها الاختبار والامتحان، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**لِنَفْتِنَهُمْ فيه**﴾ [طه: ١٣١].

وتطلق على الشرك، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ**﴾ [البقرة: ١٩٣].

وتطلق على الإحراق والتعذيب بالنار كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**إِنَّ الذين فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا**﴾ [البروج: ١٠].

وفتنة القبر: هي سؤال الملكين الميتَ بعد دفنه عن ربه، ودينه، ونبيه.

جـ- صفة فتنة القبر: إذا دفن الميت في قبره تُعادُ له الروح، فَيُسأل،

---

(١) التذكرة ص ٢٠٠.

(٢) انظر الروح ص ١٢٨.

(٣) انظر لسان العرب ٥/٦٨.

ويقال له: مَنْ ربُّك، وما دينك، ومن نبيك؟

فيقول المؤمن: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد.

ويضل الله الظالمين، فيقول الكافر: هاه، هاه لا أدري.

ويقول المنافق أو المرتاب: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.

وقد جاءت صفة فتنة القبر في عدة أحاديث منها ما جاء في حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقعد وقعدنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وهو يُلْحد له، فقال: **«أعوذ بالله من فتنة القبر»** ثلاث مرات. الحديث

وفيه عن العبد المؤمن **«فتعاد له روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول رسول الله، فيقولان له: ما عِلمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به، وصدقتُ، فينادي منادٍ من السماء: أن قد صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة»**.

وفيه عن العبد الكافر **«ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه، هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك، فيقول هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه، هاه لا أدري؛ فينادي مناد من السماء: أن كذب، فأفرشوه من النار،**

وافتحوا له باباً إلى النار؛ فيأتيه من حرها، وسمومها، ويضيق عليه في قبره، حتى تختلف أضلاعه».[١]

د - وصف الملكين وتسميتهما: جاء في بعض الأحاديث وصف الملكين الموكلين بفتنة القبر، وتسميتهما.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ **«إذا قبر أحدكم ـ أو الإنسان ـ أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير»**.[٢]

هـ - هل تفتن الأمم السابقة في قبورها أو أن ذلك خاص بهذه الأمة؟: قال بعض العلماء: إن الأمم السابقة لا تفتن في قبورها؛ بحجة أنها رفضت الاستجابة لرسلها، فعوجلت بالعذاب وأن هذه الأمة قد أُمسك عنها العذاب، وبعث الرسول بالسيف فمن دخل الإسلام مخافة القتل ثم نافق عذب في قبره.

وهذا القول محل نظر، والصحيح أن الأمم السابقة تفتن في قبورها، وتعذب أو تنعم.

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٢٨٧-٢٨٨، وأبو داوود (٤٧٥٣)، والحاكم ١/ ٣٧-٤٠، وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي وصححه ابن القيم في تهذيب سنن أبي داود ٧/ ١٣٩-١٤٦.

(٢) أخرجه الترمذي (١٠٧١)، وقال حديث حسن غريب، وابن أبي عاصم في السنة (٨٦٤)، قال الألباني: «وإسناده حسن، وفيه رد على من أنكر من المعاصرين تسمية الملكين بمنكر ونكير»

ومن الأدلة في ذلك ما جاء في عذاب آل فرعون الذين قال الله فيهم: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** (٤٦)﴾ [غافر: ٤٦].

وفي صحيح مسلم عن عروة بن الزبير عن خالته ـ عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «دخل عليَّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعندي امرأة من اليهود وهي تقول: هل شعرتِ أنكم تفتنون في القبور؟

قالت: فارتاع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال: «**إنما تفتن اليهود**».

قالت عائشة: فلبثنا ليالي، ثم قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد: «**وهل شعرت أنه أوحي إليَّ: تفتنون في القبور**».

قالت عائشة: «فسمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد ذلك يستعيذ من عذاب القبر».[١]

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ بعد أن ذكر الخلاف في هذه المسألة: «والظاهر ـ والله أعلم ـ أن كل نبي مع أمته كذلك، وأنهم معذبون في قبورهم بعد السؤال لهم، وإقامة الحجة عليهم كما يعذبون في الآخرة بعد السؤال، وإقامة الحجة، والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم».[٢]

---

(١) مسلم (٥٨٤).

(٢) الروح ص ١٤٩، وانظر تفصيل الخلاف في ص ١٤٧-١٤٩.

و - هل يفتن الكافر في قبره؟: الصحيح أنه يفتن، فالفتنة عامة للكافر وغيره، كما مر في الأحاديث الماضية من أن الكافر أو المنافق يقول إذا سُئل «هاه هاه لا أدري».

ز - هل الأطفال يمتحنون في قبورهم؟: الجواب أن هذه المسألة قد اختلف فيها على قولين:

الأول: قول من قال: إنهم يسألون، وحجة أولئك أنه يشرع الصلاة عليهم، وسؤال الله أن يقيهم عذاب القبر وفتنة القبر.

الثاني: قول من قال بأنهم لا يسألون؛ لأن السؤال إنما يكون لمن عقل الرسول والمُرْسِل، فيسأل: هل آمن بالرسول وأطاعه أم لا.

أما الطفل الذي لا تمييز له بوجه ما ـ كيف يسأل؟[1]

والذي يظهر من كلام ابن تيمية، وابن القيم ـ رحمهما الله ـ أنهما يميلان إلى القول الأول.

وهذا ما سيتضح في الفقرة التالية.

ح - هل يفتن غير المكلف؟: الجواب أن هذه المسالة قد اختلف فيها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «وقد تواترت الأحاديث عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في هذه الفتنة من حديث البراء ابن عازب، وأنس بن مالك، وأبي هريرة وغيرهم ـ رضي الله عنهم.

(١) انظر تفاصيل هذه المسألة في مجموع الفتاوى ٤-٢٥٧ و ٢٧٧-٢٨١، وكتاب الروح ص ١٤٩-١٥١.

وهي عامة للمكلفين إلا النبيين فقد اختلف فيهم، وكذلك اختلف في غير المكلفين كالصبيان والمجانين؛ فقيل يفتنون وقيل لا يفتنون؛ لأن المحنة إنما تكون للمكلفين، وهذا قول القاضي وابن عقيل.

وعلى هذا فلا يلقنون بعد الموت.

وقيل يلقنون، ويفتنون ـ أيضاً ـ .

وهذا قول أبي حكيم، وأبي الحسن بن عبدوس، ونقله عن أصحابه، وهو مطابق لقول من يقول: إنهم يكلفون يوم القيامة كما هو قول أكثر أهل العلم، وأهل السنة من أهل الحديث والكلام، وهو الذي ذكره أبو الحسن الأشعري ـ رضي الله عنه ـ عن أهل السنة، واختاره، وهو مقتضى نصوص الإمام أحمد» .[1]

وقال في موضع آخر بعد كلام قريب من الكلام السابق بعد أن ذكر حجة القائلين بالقول بأنهم يفتنون «ومن قال بالأول: يستدل بما في الموطأ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه صلى على صغير لم يعمل خطيئة قط فقال: «**اللهم قه عذاب القبر وفتنة القبر**» وهذا يدل على أنه يفتن.

وأيضا فهذا مبنيٌّ على أن أطفال الكفار الذين لم يكلفوا في الدنيا يكلفون في الآخرة، كما وردت بذلك أحاديث متعددة.

وهو القول الذي حكاه أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة والجماعة؛

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/ ٢٥٧ وانظر ٤/ ٢٧٧-٢٨١.

فإن النصوص عن الأئمة كالإمام أحمد وغيره: الوقف في أطفال المشركين كما ثبت في الصحيحين عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه سئل عنهم فقال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**».

وثبت في صحيح البخاري أن منهم من يدخل الجنة.

وثبت في صحيح مسلم أن الغلام الذي قتله الخَضِر طُبِعَ يوم طُبِعَ كافراً.

فإن كان الأطفال وغيرهم منهم شقي وسعيد فإذا كان ذلك لامتحانهم في الدنيا لم يمنع امتحانهم في القبور.

لكن هذا مبني على أنه لا يُشهد لكل معين من أطفال المؤمنين بأنه في الجنة، وإن شُهد لهم مطلقاً، ولو شهد لهم مطلقا؛ فالطفل قد يكون منافقاً بين مؤمنين، والله أعلم».[١]

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وأما حديث أبي هريرة[٢] ـ رضي الله عنه ـ فليس المراد بعذاب القبر فيه عقوبة على الطفل على ترك طاعة، أو فعل معصية؛ فإن الله لا يعذب أحداً بلا ذنب عمله.

بل عذاب القبر قد يراد به الألم الذي يحصل للميت بسبب غيره، وإن لم يكن عقوبة على عمل عمله.

(١) مجموع الفتاوى ٤/ ٢٨١.

(٢) يعني الحديث الذي مضى ذكره قبل قليل، حديث أبي هريرة أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلى على صغير لم يعمل خطيئة قط، فقال: «**اللهم قه عذاب القبر وفتنة القبر**».

ومنه قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**إن الميت ليعذب ببكاء أهله**» أي يتألم، ويتوجع منه، لا أنه يعاقب بذنب الحي «**ولاتزر وازرة وزر أخرى**».

وهذا كقول النبي ـ صلـى الله عليه وسلم ـ: «**السفر قطعة من العذاب**».

فالعذاب أعم من العقوبة.

ولا ريب أن في القبر من الآلام والهموم والحسرات ما قد يسري أثره إلى الطفل؛ فيتألم به؛ فيشرع للمصلي عليه أن يسأل الله ـ تعالى ـ له أن يقيه ذلك العذاب، والله أعلم». [1]



(١) الروح ص١٥٠-١٥١.

المبحث الثاني

نعيم القبر وعذابه

أولاً تعريفه: هو اسم لنعيم البرزخ وعذابه، وهو نتيجة لفتنة القبر؛ فنعيم القبر للمؤمنين الصادقين، وعذابه للظالمين من المنافقين والكافرين.

ثانياً: تواتر الأخبار في نعيم القبر وعذابه: يقول شارح الطحاوية: لقد تواترت الأخبار عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان أهلا لذلك؛ فيجب اعتقاد ذلك، والإيمان به». [(١)]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ «ومذهب سائر المسلمين، بل وسائر أهل الملل إثبات القيامة الكبرى، وقيام الناس من قبورهم والثواب والعقاب هناك، والثواب والعقاب في البرزخ ـ ما بين الموت إلى القيامة ـ هذا قول السلف قاطبة، وأهل السنة والجماعة، وإنما أنكر ذلك في البرزخ قليل من أهل البدع». [(٢)]

ثالثاً: نعيم القبر وعذابه في القران الكريم: نعيم القبر وعذابه في البرزخ مذكور في غير ما آية؛ حيث وردت إشارات في القرآن تدل على وقوعه.

وقد ترجم البخاري ـ رحمه الله ـ في كتاب الجنائز لعذاب القبر، فقال: «باب ما جاء في عذاب القبر».

ثم ساق في الترجمة قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٣٩٩.

(٢) مجموع الفتاوى ٤/ ٢٦٢.

الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦].(1)

والآية الأولى التي ساقها البخاري إنما هي في تعذيب الملائكة الكفار في حال الاحتضار، والآية الثانية تدل على أن هناك عذابين سيصيبان المنافقين قبل عذاب يوم القيامة.

العذاب الأول: ما يصيبهم الله به في الدنيا إما بعقاب من عنده، وإما بأيدي المؤمنين.

والعذاب الثاني: عذاب القبر، قال الحسن البصري: «سنعذبهم مرتين: عذاب الدنيا وعذاب القبر».(2)

وقال الطبري: «والأغلب أن إحدى المرتين عذاب القبر، والأخرى تحتمل أحد ما تقدم ذكره من الجوع، أو السبي، أو القتل والإذلال، وغير ذلك».(3)

---

(١) صحيح البخاري باب ٨٧ ص٢٦٦.

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١١/ ٢٣٣.

(٣) المرجع السابق.

والآية الثالثة حجة واضحة لأهل السنة الذين أثبتوا عذاب القبر؛ فإن الحق ـ تبارك وتعالى ـ قرر أن آل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً، وهذا قبل يوم القيامة؛ لأنه ـ عز وجل ـ قال بعد ذلك: ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ [غافر: ٤٦].

قال القرطبي: «الجمهور على أن هذا العرض يكون في البرزخ، وهو حجة في تثبيت عذاب القبر».(١)

وهناك آيات أخرى تشير إلى عذاب القبر ونعيمه غير ما ذكر.(٢)

رابعاً: الإيمان بعذاب القبر ونعيمه بلا كيفية: قال شارح الطحاوية ـ رحمه الله ـ بعد أن تكلم على تواتر الأخبار في عذاب القبر ونعيمه: «فيجب اعتقاد ذلك، والإيمان به ولا نتكلم في كيفيته؛ إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته؛ لكونه لا عهد له به في هذه الدار.

والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكن قد يأتي بما تحار فيه العقول؛ فإن عودة الروح للجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا».(٣)

خامساً: هل عذاب القبر ونعيمه خاص بمن دفن في قبر، أو هو شامل؟:
والجواب عن ذلك أن عذاب القبر ونعيمه شامل لمن دفن في قبر أو

---

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر تفصيل ذلك في كتاب الروح ص ١٣١ ـ ١٣٤، وأهوال القبور، وأحوال أهلها إلى النشور لابن رجب الحنبلي ص٤١-٦٠، والقيامة الصغرى ص٤٨-٥١.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص٣٩٩.

غيره؛ فكل من مات وهو مستحق للعذاب أو النعيم ناله نصيبه منه، سواء قبر أم لم يقبر، وسواء كان في فلاة، أو في مكان يحفظ فيه كالثلاجة، أو أنه قد أكلته السباع، أو احترق حتى صار رماداً ونسف بالهواء، أو صلب، أو غرق في البحر، أو غير ذلك؛ فالعذاب أو النعيم يصل إليه كما يصل إلى المقبور.

وإنما سمي عذاب القبر ونعيمه باعتبار الغالب والأصل.[1]

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وهذا البرزخ يشرف أهله على الدنيا والآخرة.

وسمي عذاب القبر ونعيمه، وأنه روضة أو حفرة نار، باعتبار غالب الخلق؛ فالمصلوب، والحَرِق، والغرِق، وأكيل السباع، والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذي تقتضيه أعماله وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتهما.

فقد ظن بعض الأوائل أنه إذا حُرِق جسده بالنار، وصار رماداً، وذري بعضه في البحر، وبعضه في البر في يوم شديد الريح أنه ينجو من ذلك، فأوصى بنيه أن يفعلوا به ذلك، فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال: قم؛ فإذا هو قائم بين يدي الله، فسأله: ما حملك على ما فعلت؟

فقال: خشيتك يا رب وأنت أعلم؛ فما تلافاه أن رحمه.

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠٠.

فلم يَفُتْ عذاب البرزخ ونعيمه هذه الأجزاء التي صارت في هذه الحال، حتى لو كان علق[١] الميت على رؤوس الأشجار في مهاب الرياح لأصاب جسده من عذاب البرزخ حظه ونصيبه.

ولو دفن الرجل الصالح في أتون من النار لأصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه وحظه.

فيجعل الله النار على هذا برداً وسلاماً، والهواء على ذلك نـاراً وسموماً؛ فعناصر العالم، وموادُّه[٢] منقادة لربها وفاطرها، وخالقها يُصَرِّفها كيف يشاء، ولا يستعصي عليه منها شئ أراده، بل هي طوع مشيئته، مُذللة مُنقادة لقدرته.

ومن أنكر هذا فقد جحد رب العالمين، وكفر به، وأنكر ربوبيته»[٣].

سادساً:هل يَفْهَم فتنةَ القبر، ويجيب عن سؤال الملكين مَنْ لا يعرف العربية؟: فقد مر بنا أن سؤال الناس في قبورهم يكون بصيغة: مـن ربك؟، وما دينك، وما نبيك؟

والجواب عن هذا الإشكال:

هو أن الإنسان يفهم السؤال، ويجيب عنه، ولو لم يكن يعرف العربية.

---

(١) في الأصل عاق ولعل الصواب ما ذكر.

(٢) في الأصل و موارده، ولعل الصواب ما ذكر.

(٣) الروح ص ١٢٨-١٢٩.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ـ رحمه الله ـ: «وهذا الابتلاء، والامتحان لكل عبد؛ فأما من كان مؤمناً إيماناً صحيحا ثبته الله، ولقّنه الجواب الصحيح للملكين كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

فذكر أن تثبيته لهم جزاء على إيمانهم في الدنيا؛ فالمؤمن يجيب الجواب الصحيح، وإن كان عامياً، أو أعجمياً.

وأما الكافر والمنافق فمن كان في الدنيا غير مؤمن بما جاء به الرسول ـ فإنه يستعجم عليه الجواب ولو كان أعلم الناس، وأفصحهم كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ [إبراهيم: ٢٧]».[١]

سابعاً: هل عذاب القبر ونعيمه على البدن أو على الروح؟: الجواب أن عذاب القبر ونعيمه يكون على البدن والروح معاً.

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «مذهب سلف الأمة، وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمةً أو معذبةً، وأنها تتصل بالبدن أحياناً، فيحصل له معها النعيم والعذاب».[٢]

وقال: «العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس، وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن، والبدن متصل بها، فيكون العذاب والنعيم عليهما في هذه الحال

---

(١) التنبيهات اللطيفة لابن سعدي ص ٣٩-٤٠.

(٢) مجموع الفتاوى ٤/ ٢٨٤.

مجتمعين كما يكون للروح منفردة عن البدن». [١]

ثامناً: هل عذاب القبر دائم أو منقطع؟: عذاب القبر على نوعين:

أحدهما: دائم، ويدل على هذا قوله ـ تعالى ـ: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ [غافر: ٤٦].

وكذلك في حديث البراء ابن عازب في قصة سؤال الكافر في قبره، وفيه «**ثم يفتح له باب إلى النار، فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة**».

وقد مر الحديث عن ذلك قبل قليل

النوع الثاني: أنه إلى مدة ثم ينقطع: وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم، فيعذب بحسب جرمه، ثم يخفف عنه، كما يعذب في النار مدة ثم يزول عنه العذاب.

وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء، أو صدقة، أو ثواب حج يصله من بعض أقاربه، أو غيرهم. [٢]

تاسعاً: أسباب عذاب القبر: قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه الروح: «المسألة التاسعة، وهي قول السائل: ما الأسباب التي يعذب بها أصحاب القبور؟

جوابها من وجهين: مجمل ومفصل.

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/ ٢٨٢، وانظر تفصيل ذلك في ٤/ ٢٨٢-٢٩٩، والروح ص ٩٦-٩٧.

(٢) انظر الروح ص١٥١-١٥٤.

أما المجمل: فإنهم يعذبون على جهلهم بالله، وإضاعتهم لأمره، وارتكابهم لمعاصيه؛ فلا يعذب الله روحاً عرفته، وأحبته، وامتثلت لأمره، واجتنبت نهيه، ولا بَدَنَاً كانت فيه أبداً؛ فإن عذاب القبر، وعذاب الآخرة أَثَرُ غضبِ الله، وسخطه على عبده؛ فمن أغضب الله، وأسخطه في هذه الدار، ثم لم يتب، ومات على ذلك ـ كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله، وسخطه عليه؛ فمستقل ومستكثر، ومصدق ومكذب».[1]

ثم شرع ـ رحمه الله ـ بعد ذلك في بيان أسباب عذاب القبر على وجه التفصيل، والمجال لا يتسع لذكرها.[2]

وبعد أن ذكر ذلك على وجه التفصيل قال في نهاية حديثه: «ولما كان أكثر الناس كذلك كان أكثر أصحاب القبور معذبين، والفائز منهم قليل؛ فظواهر القبور تراب، وبواطنها حسرات وعذاب، ظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبنيات، وفي باطنها الدواهي والحيات، تغلي بالحسرات كما تغلي القدور بما فيها ويحق لها، وقد حيل بينها وبين شهواتها وأمانيها.

تالله لقد وَعَظَتْ فما تركتْ لواعظ مقالاً، ونادت: يا عمار الدنيا لقد عمرتم داراً موشكة بكم زوالا، وخربتم داراً أنتم مسرعون إليها انتقالاً، عمرتم بيوتاً لغيركم منافعها وسكناها، وخربتم بيوتا ليس لكم

(١) الروح ١٣٤.

(٢) انظر ذلك في الروح ص ١٣٤-١٣٧.

مساكن سواها، هذه دار الاستباق، ومستودع الأعمال، وبذر الزرع، وهذه محل للعبر، رياض من رياض الجنة، أو حفر من حفر النار». [١]

عاشراً: الأسباب المنجية من عذاب القبر: قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه الروح: «المسألة العاشرة: الأسباب المنجية من عذاب القبر.

جوابها ـ أيضا ـ من وجهين: مجمل، ومفصَّل.

أما المجمل: فهو تجنب الأسباب التي تقتضي عذاب القبر.

ومن أنفعها أن يجلس الرجل عندما يريد النوم لله ساعة يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه في يومه، ثم يجدد له توبة نصوحاً بينه وبين الله؛ فينام على تلك التوبة، ويعزم على ألا يعاود الذنب إذا استيقظ، ويفعل هذا كل ليلة؛ فإذا مات في ليلته مات على توبة، وإن استيقظ استيقظ مستقبلاً للعمل، مسروراً بتأخير أجله، حتى يستقبل ربه، ويستدرك ما فاته.

وليس للعبد أنفع من هذه النومة، ولا سيما إذا عقَّب ذلك بذكر الله، واستعمال السنن التي وردت عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عند النوم حتى يغلبه النوم؛ فمن أراد به خيراً وفقه لذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) الروح ص ١٣٦-١٣٧ .

وأما الجواب المفصَّل فنذكر أحاديث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيما ينجي من عذاب القبر». [١]

ثم شرع ـ رحمه الله ـ بذكر جملة من الأحاديث في هذا الشأن. [٢]

* * *

(١) الروح ص١٣٧.

(٢) انظر الروح ص١٣٧ ـ ١٤٣، والقيامة الصغرى ص٨٦ ـ ٩٦.

المبحث الثالث

الـــروح

أولاً: حقيقة الروح التي في البدن: اختلف الناس في حقيقة الروح التي في البـدن اختلافـاً كثيراً، وأحسن ما قيل في ذلك؛ ما ذكره ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه الروح؛ حيث ساق ستة أقوال في الروح نقلها عن الرازي، واختار آخرها، وقال «السادس: إنه جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني، علوي، خفيف، حي، متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم.

فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكاً لهذه الأعضاء، وإفادتها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية.

وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها، وخرجت عن قبول تلك الآثار ـ فارق الروح البدن، وانفصل إلى عالم الأرواح»[١].

وبعد أن ساق ابن القيم ـ رحمه الله ـ هذا القول قال: «وهذا القول هو الصواب في المسألة، وهو الذي لا يصح غيره، وكل الأقوال سواه

(١) الروح ص٢٧٦.

باطلة، وعليه دل الكتاب والسنة، وإجماع الصحابة، وأدلة العقل والفطرة» .[١]

ثم أورد ـ رحمه الله ـ بعد ذلك مائة وستة عشر وجهاً على صحة ما ذكر، ثم ناقش أدلة القائلين بغير ذلك.[٢]

ثانياً: لم سميت الروح بهذا الاسم؟: لأن بها حياة البدن.

ثالثاً: هل الروح والنفس شيء واحد أو أنهما متغايران؟: الروح التي في البدن هي النفس؛ فهذا المخلوق الذي تكون به الحياة، وتفقد بفقده يسمى روحاً، ونفساً؛ فهما بهذا الاعتبار مترادفان، يُعَبَّر بكل واحد منهما عن الآخر، ويدل عليه، ولا يمنع أن يكون لكل واحد منهما إطلاقات أخرى.[٣]

وبالجملة فإن النفس تطلق على أمور، والروح كذلك؛ فيتحد مدلولهما تارة، ويختلف تارة؛ فالنفس تطلق على الروح، ولكن غالباً ما تسمى به نفساً إذا كانت متصلة بالبدن، أما إذا أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها.[٤]

---

(١) الروح ص٢٧٦-٢٧٧، وهذا القول هو الذي ارتضاه شارح الطحاوية، انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٩٣.

(٢) انظر الروح ص٢٧٧-٣٢٥.

(٣) انظر القيامة الصغرى ص٨٥-٨٦.

(٤) انظر شرح الطحاوية ص٣٩٤.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «والروح المدبرة للبدن هي الروح المنفوخة فيه، وهي النفس التي تفارقه بالموت».(١)

وقال: «لكن تسمى نفساً باعتبار تدبيره للبدن، وتسمى روحاً باعتبار لطفه».(٢)

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ «أما الروح التي تتوفى وتُقبض فهي روح واحدة، وهي النفس».(٣)

رابعاً: من إطلاقات الروح: لفظ الروح له عدة معان غير الروح التي تفارق البدن بالموت التي هي النفس، فمن إطلاقات الروح ما يلي:(٤)

١- تطلق الروح على الهواء الخارج من البدن والهواء الداخل فيه.

٢- وتطلق على البخار الخارج من تجويف القلب من سويداه الساري في العروق.

٣- وتطلق الروح على جبرائيل ـ عليه السلام ـ قال تعالى ـ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

٤- وتطلق على ما يؤيد الله به أولياءه من الروح، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

---

(١) رسالة العقل والروح مجوعة الرسائل المنيرية ٢/ ٣٦.

(٢) رسالة العقل والروح مجوعة الرسائل المنيرية ٢/ ٣٧.

(٣) الروح ص٢٢٣.

(٤) انظر رسالة العقل والروح ٢/ ٣٧-٣٩، ومجموع الفتاوى ٤/ ٢٢٢ و٢٢٨، والروح ص٣٢٩-٣٣٠، وشرح العقيدة الطحاوية ص٣٩٤.

٥- وتطلق على الروح الذي أيد الله به روحه المسيح بن مريم ـ عليه السلام ـ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [المائدة: ١١٠].

٦- وتطلق على الروح التي يلقيها الله على من يشاء من عباده.

٧- وتطلق الروح على القوى التي في البدن؛ فإنها تسمى أرواحاً، فيقال: الروح الباصر، والروح السامع، والروح الشامّ؛ فهذه الأرواح قوى مُوْدَعَةٌ في البدن تموت بموت الأبدان، وهي غير الروح التي لا تموت بموت البدن، ولا تبلى كما يبلى.

٨- ويطلق الروح على ما هو أخص مما مضى كله، وهو قوة المعرفة بالله والإنابة إليه، ومحبته، وانبعاث الهمة إلى طلبه وإرادته.
ونسبة هذه الروح إلى الروح كنسبة الروح إلى البدن؛ فإذا فقدته الروح كانت بمنزلة البدن إذا فقد روحه، وهي الروح التي يؤيد الله بها أهل ولايته.
ولهذا يقول الناس: فلان فيه روح، وفلان ليس فيه روح، وهو قصبةٌ فارغة، ونحو ذلك.

٩- ويطلق الروح على غير ما ذكر مما فيه معنى الحياة المعنوية، فللعلم روح، وللإحسان روح، وللإخلاص روح، وللمحبة والإنابة روح، وللتوكل والصدق روح.
والناس متفاوتون في هذه المعاني أعظم تفاوت؛ فمنهم من تغلب عليه هذه الأرواح، فيصير روحانياً، ومنهم من يفقدها أو أكثرها فيصير

بهيمياً، والله المستعان.

خامساً: مسكن الروح: الجسد هو مسكن الروح، وهي تسري في الجسد كله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «لا اختصاص للروح بشيء من الجسد؛ بل هي سارية في الجسد، كما تسري التي هي عَرَض في جميع الجسد؛ فإن الحياة مشروطة بالروح، فإذا كانت الروح في الجسد كان فيه حياة، وإذا فارقته الروح فارقته الحياة»[١].

سادساً: الروح مخلوقة: فالحق الذي لا يجوز العدول عنه أن الروح مخلوقة، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

قال: شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ «روح الآدمي مبدعة باتفاق سلف الأمة، وأئمتها، وسائر أهل السنة.

وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غَيرُ واحد من أئمة المسلمين، مثل محمد بن نصر المروزي الإمام المشهور، الذي هو أعلم أهل زمانه بالإجماع، والاختلاف، أو من أعلمهم.

وكذلك أبو محمد ابن قتيبة، قال لما تكلم في كتاب (اللقط)لما تكلم على خلق الروح قال: النسم الأرواح، قال: وأجمع الناس أن الله خالق الجثة، وبارئ النسمة، أي الروح».[٢]

وقال ابن تيمية في موضع آخر: «فقد بان بما ذكرناه أن من قال

---

(١) رسالة العقل والروح ٢/ ٤٧.

(٢) مجموع الفتاوى ٤/ ٢١٦.

أن أرواح بني آدم قديمة غير مخلوقة ـ فهو من أعظم أهل البدع الحلولية الذي يجر قولهم إلى التعطيل، بجعل العبد هو الرب، وغير ذلك من البدع الكاذبة الضالة» .[1]

سابعاً: هل تموت الروح؟: الجواب أن الناس قد اختلفوا في ذلك، والصواب كما قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ أن يقال «موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها، وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت.

وإن أريد أنها تَعْدَم، وتضمحل، وتصير عدماً محضاً ـ فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في النعيم أو العذاب» .[2]

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : «وقد ثبت في الكتاب والسنة، واتفاق سلف الأمة أن الروح تبقى بعد فراق البدن، وأنها منعمة أو معذبة» .[3]

وقال في موضع آخر: «لكن موتها مفارقة الأبدان» .[4]

ثامناً: مستقر الأرواح في البرزخ: قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت.

فمنها أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/ ٢٢٦، وانظر الروح ص ٢٢٦-٢٤٤.

(٢) الروح ص ٧٠-٧١، وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٩٥.

(٣) مجموع الفتاوى ٤/ ٢٨٣.

(٤) مجموع الفتاوى ٤/ ٢٧٩.

النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة الإسراء.

ومنها أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة؛ لدين عليه، أو غيره، كما في المسند عن محمد بن عبد الله بن جحش «أن رجلاً جاء إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: يا رسول الله! ما لي إن قتلت في سبيل الله؟

قال: «**الجنة**»

فلما ولى قال: «**إلا الذي سارَّني به جبريل آنفاً**».

ومنهم من يكون محبوساً على باب الجنة كما في الحديث الآخر: «**رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة**».

ومنهم من يكون محبوساً في قبره كحديث صاحب الشملة التي غلَّها، واستشهد، فقال الناس: هنيئاً له الجنة، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**والذي نفسي بيده إن الشملة التي غلها لتشتعل عليه ناراً في قبره**».

ومنهم من يكون مقره باب الجنة، كما في حديث ابن عباس: «**الشهداء على بارق نهر باب الجنة في قبة خضراء، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية**». رواه أحمد.

وهذا بخلاف جعفر بن أبي طالب، حيث أبدله الله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء.

ومنهم من يكون محبوساً في الأرض لم تعلُ روحه إلى الملأ الأعلى؛

فإنها كانت روحاً سفلية أرضية؛ فإن الأنفس الأرضية لا تُجَامع الأنفس السماوية كما لا تجامعها في الدنيا، والنفس التي لم تكتسب في الدنيا معرفة ربها، ومحبته، وذكره، والأنس به، والتقرب إليه، بل هي أرضية سفلية ـ لا تكون بعد المفارقة لبدنها إلا هناك.

كما أن النفس العلوية التي كانت في الدنيا عاكفة على محبة الله وذكره، والتقرب إليه، والأنس به تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها؛ فالمرء مع من أحب في البرزخ ويوم القيامة.

والله ـ تعالى ـ يزوج النفوس بعضها ببعض في البرزخ ويوم المعاد، كما تقدم في الحديث، ويجعل روحه ـ يعني المؤمن ـ مع النسيم الطيب ـ أي الأرواح الطيبة المشاكِلة ـ فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها، وإخوانهم وأصحاب عملها، فتكون معهم هناك.

ومنها أرواح تكون في تنور الزناة والزواني، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه، وتُلقم الحجارة؛ فليس للأرواح سعيدها، وشقيها مستقر واحد.

بل روح في أعلى عليين، وروح أرضية سفلية لا تصعد عن الأرض». [1]

* * *

(١) الروح ص ١٨٧-١٨٨، انظر شرح العقيدة الطحاوية ص٤٠١-٤٠٤.

المبحث الرابع

إنكار عذاب القبر ونعيمه والرد على من زعم ذلك[1]

أنكر بعض الزائغين من الملاحدة والزنادقة ومن نحا نحوهم عذاب القبر، وسعته، وضيقه، وكونه حفرة من حفر النار، أو روضة من رياض الجنة، وكون الميت لا يُجلس، ولا يقعد.

«قالوا: فإنا نكشف القبر فلا نجد فيه ملائكة عمياً صماً يضربون الموتى بمطارق من حديد، ولا نجد هناك حيَّات، ولا ثعابين، ولا نيراناً تَتَأجج.

ولو كشفنا حاله في حالة من الأحوال لوجدناه لم يتغير، ولو وضعنا على عينه الزئبق، وعلى صدره الخردل لوجدناه على حاله.

وكيف يُفسح له مد بصره، أو يُضيَّق عليه ونحن نجده بحاله، ونجد مساحته على حد ما حفرناها له لم يزد ولم ينقص؟

وكيف يتسع ذلك اللحد الضيِّق له وللملائكة، وللصورة التي تؤنسه، أو توحشه؟

قال إخوانهم من أهل البدع والضلال: وكل حديث يخالف مقتضى القول[2] والحس يُقطع بتخطئة قائله.

---

(١) انظر: الروح لابن القيم ص ١١١ ـ ١٣١، و رسائل في العقيدة للشيخ محمد ابن عثيمين ص ٣٣-٣٥.

(٢) هكذا وردت في الأصل ولعلها: العقل.

قالوا: ونحن نرى المصلوب على خشبة مدة طويلة لا يُسأل، ولا يجيب ولا يتحرك، ولا يتوقد جسمه ناراً.

ومن افترسته السباع، ونهشته الطيور، وتفرقت أجزاؤه في أجواف السباع، وحواصل الطيور، وبطون الحيتان، ومدارج الريح - كيف تُسأل أجزاؤه مع تفرقها؟ وكيف يُتصور مسألة الملكين لمن هذا وصفه؟ وكيف يصير القبر على هذا روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار؟ وكيف يُضيَّق عليه حتى تلتئم أضلاعه؟». (١)

والجواب عن هذه المزاعم يسير - بحمد الله - فهي مزاعم باطلة مردودة بالشرع، والحس، والعقل، وإليك بعض الوجوه التي يرد بها على تلك المزاعم.

١ - **أن عذاب القبر ونعيمه ثابت بالشرع**: وقد مضى ذكر لبعض تلك النصوص، بل إن أحاديث هذا الباب متواترة كما في فقرة سابقة

قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي - رحمه الله -: «أما أحوال القبر وفتنته وعذابه ونعيمه وتفاصيل ذلك فقد تواترت به الأحاديث الصحيحة والحسنة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما هو معروف، والقرآن أشار إليه في عدة آيات». (٢)

ومن تلك النصوص - زيادة على ما مضى - ما جاء في حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - مر

---

(١) الروح ص ١١١ - ١١٢.

(٢) الخلاصة ص ٢٦.

على قبرين فقال: «**إنهما ليعذبان، وما يعذبان بكبير، بلى، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة؛ فدعا بجريدة رطبة، فشقها نصفين، وقال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**»[1].

٢- **أنه يجب التأدب مع نصوص الشرع**: فلا يجوز معارضتها بهذه الشبه الفاسدة الداحضة التي لو تأمل المعارض بها ما جاء في الشرع حق التأمل لعلم بطلان هذه الشبه؛ ففي الشرع ما قد تحار فيه العقول، ولكن ليس فيه ما تحيله العقول.

والرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ لم يخبروا بما تحيله العقول، وتقطع باستحالته، بل أخبروا بما تشهد به العقول والفطر؛ فيجب أن يفهم عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مراده من غير غلو، ولا تقصير؛ فلا يحمَّل كلامه ما لا يحتمل، ولا يُقصَّر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ [سبأ: ٦].

وقال ـ عزوجل ـ: ﴿**أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ**﴾ [الرعد: ١٩].

وقال: ﴿**وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ**﴾ [الرعد: ٣٦].

---

(١) رواه البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٩٢)، وأبو داوود (٢٠)، والترمذي (٧٠)، والنسائي (٣١)، وابن ماجة (٣٤٧).

وعلى هذا فإن إنكار أحوال البرزخ محادة لله ورسوله، وتكذيب لما جاء في الشرع المطهر.

٣- أن أحوال البرزخ من أحوال الغيب التي لا يدركها الحس: ولو كانت تدرك بالحس لفاتت فائدة الإيمان بالغيب، ولتساوى المؤمنون بالغيب، والجاحدون في التصديق بها.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «إن الله ـ سبحانه ـ جعل أمر الآخرة، وما كان متصلاً بها غيباً، وحجبها عن إدراك المكلفين في هذه الدار، وذلك من كمال حكمته، وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم؛ فأول ذلك أن الملائكة تنزل على المحتضر، وتجلس قريباً منه، ويشاهدهم عياناً، ويتحدثون عنده، ومعهم الأكفان والحنوط إما من الجنة وإما من النار، ويؤمِّنون على دعاء الحاضرين بالخير والشر، وقد يسلمون على المحتضر، ويرد عليهم تارة بلفظه، وتارة بإشارته، وتارة بقلبه؛ حيث لا يتمكن من نطق ولا إشارة.

وقد سُمع بعض المحتضرين يقول: أهلاً وسهلاً ومرحباً بهذه الوجوه.

وقد أخبرني شيخنا[1] عن بعض المحتضرين فلا آدري أشاهده، أو أُخْبَر عنه أنه سُمِع وهو يقول: عليك السلام، هاهنا فاجلس، وعليك السلام، هاهنا فاجلس.

وقصة خبر النساج ـ رحمه الله ـ مشهورة؛ حيث قال عند الموت:

---

(١) يعني: شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ.

اصبر عافاك الله؛ فإن ما أمرتَ به لا يفوت، وما أمرتُ به يفوت، ثم استدعى بماء فتوضأ، وصلى، ثم قال: امض لما أمرتَ به ومات.

وذكر ابن أبي الدنيا أن عمر بن عبد العزيز لما كان في يومه الذي مات فيه قال: «أجلسوني، فأجلسوه، فقال: أنا الذي أمرتني فقصرت، ونهيتني فعصيت، ثلاث مرات، ولكن: لا إله إلا الله ثم رفع رأسه، فأحط[1] النظر؛ فقالوا: إنك لتنظر نظراً شديداً يا أمير المؤمنين، فقال: إني لأرى حَضَرة ما هم بإنس ولا جن ثم قبض».[2]

وبعد أن ساق ابن القيم جملة من الآثار في ذلك قال: «والآثار في ذلك أكثر من أن تحصر، وأبلغ وأكفى من ذلك كله قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿**فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ**﴾ [الواقعة: ٨٣ - ٨٥].

أي أقرب بملائكتنا ورسلنا، ولكن لا ترون؛ فهذا أول الأمر، وهو غير مرئي لنا ولا مشاهد وهو في هذه الدار، ثم يمد الملك يده إلى الروح؛ فيقبضها، ويخاطبها، والحاضرون لا يرونه، ولا يسمعونه، ثم تخرج، فيخرج لها نور مثل شعاع الشمس، ورائحة أطيب من رائحة المسك، والحاضرون لا يرون ذلك، ولا يشمونه.

ثم تصعد بين سماطين[3] من الملائكة، والحاضرون لا يرونهم.

---

(١) لعلها: فأحدَّ.

(٢) الروح ص ١١٥-١١٦.

(٣) السماطان: هما الصَّفان.

ثم تأتي الروح، فتشاهد غسل البدن، وتكفينه، وحمله، وتقول: قدموني، قدموني، أو إلى أين تذهبون بي؟ ولا يسمع الناس ذلك، فإذا وضع في لحده، وسُوِّي عليه التراب لم يَحْجِبِ الترابُ الملائكة عن الوصول إليه، بل لو نُقِر له حَجَرٌ، فأودع فيه، وختم عليه بالرصاص لم يمنع وصول الملائكة إليه؛ فإن هذه الأجسام الكثيفة لا تمنع خرق الأرواح لها، بل الجن لا يمنعها ذلك، بل قد جعل الله ـ سبحانه ـ الحجارة والتراب للملائكة بمنزلة الهواء للطير.

واتساع القبر، وانفساحه للروح بالذاتِ، والبدنُ تبع؛ فيكون البدن في لحد أضيق من ذراع وقد فسح له بصره تبعاً لروحه.

وأما عصرة القبر حتى تختلف بعض أجزاء الموتى فلا يَرُدُّهُ حس، ولا عقل، ولا فطرة.

ولو قدِّر أن أحداً نبش عن ميت، فوجد أضلاعه كما هي لم تختلف لم يمنع أن تكون عادت إلى حالها بعد العصرة؛ فليس مع الزنادقه والملاحدة إلا مجرد تكذيب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

ولقد أخبر بعض الصادقين أنه حفر ثلاثة أقبر، فلما فرغ منها اضطجع؛ ليستريح؛ فرأى فيما يرى النائم ملكين نزلا، ووقفا على أحد الأقبر، فقال أحدهما لصاحبه: اكتب فرسخاً في فرسخ، ثم وقف على الثاني فقال: اكتب ميلاً في ميل، ووقف على الثالث فقال: اكتب فتراً في فتر.

ثم انتبه، فجيء برجل غريب لا يُؤْبَهُ له، فدفن في القبر الأول،

ثم جيء برجل آخر، فدفن في الثاني، ثم جيء بامرأة مترفة من وجوه البلد حولها ناس كثير، فدفنت في القبر الضيق الذي سمعته يقول: فتراً في فتر.

والفِتْر ما بين الإبهام والسبابة».[1]

٤- أن أحكام البرزخ على الأرواح، والأبـدانُ تبعٌ لها: قال ابـن القيم ـ رحمه الله ـ: «أنَّ الله ـ سبحانه ـ جعل الدور ثلاثاً: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار.

وجعل لكل دار أحكاماً تختص بها، وركَّب الإنسان من بدن، ونَفْس، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان، والأرواح تبعاً لها؛ ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح وإن أَضْمرت النفوس خلافه.

وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والأبدان تبعاً لها؛ فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بأَلَمِها، والتذت براحتها، وكانت هي التي باشرت أسباب النعيم والعذاب ـ تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها.

والأرواح حينئذٍ هي التي تباشر العذاب والنعيم؛ فالأبدانِ هنا ظاهرة،[2] والأرواح خفية، والأبدان كالقبور لها، والأرواح هناك ظاهرة[3] والأبدان

---

(١) الروح ص ١١٧-١١٨.

(٢) يعني في الدنيا.

(٣) يعني في البرزخ.

خفية في قبورها تجري أحكام البرزخ على الأرواح، فَتسري إلى أبدانها نعيماً، أو عذاباً كما تجري أحكام الدنيا على الأبدان، فَتَسري إلى أرواحها نعيماً أو عذاباً؛ فأحِطْ بهذا الموضع علماً، واعرفه كما ينبغي يَزُلْ عنك كل إشكال يُورد عليك من داخلٍ وخارج»[1].

وسيتضح هذا في الفقرات التالية:

٥- أن الحس يدل على وقوع عذاب القبر: فالنائم يرى في منامه أنه في مكان فسيح بهيج يتنعم فيه، ويرى أنه في مكان ضيق موحش يتألم منه، وربما يستيقظ أحيانا مما رأى، وربما يرى أثراً للألم في بدنه، وهو مع ذلك في فراشه داخل حجرته على ما هو عليه.

والنوم أخو الموت، ولهذا سماه الله ـ تعالى ـ وفاة، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وقد أرانا الله ـ سبحانه ـ بلطفه، ورحمته، وهدايته من ذلك أنموذجاً في الدنيا من حال النائم؛ فإن ما يُنَّعم به أو يُعَذَّب به في نومه يجري على روحه أصلاً، والبدن تبع له، وقد يقوى حتى يؤثر في البدن تأثيراً مشاهداً، فيرى النائم في نومه أنه ضُرِب، فيصبح وأَثَرُ الضربِ في جسمه، ويرى أنه قد أكل وشرب،

(١) الروح ص ١١٤-١١٥.

فيصبح وهو يجد أثر الطعام والشراب في فيه، ويذهب عنه الجوع والظمأ.

وأعجب من ذلك أنك ترى النائم يقوم في نومه، ويضرب، ويبطش، ويدافع وكأنه يقظان وهو نائم لا شعور له بشي من ذلك؛ وذلك أن الحكم لَـمَّا جرى على الروح استعانت بالبدن من خارجه، ولو دخلت فيه لاستيقظ وأحس.

فإذا كانت الروح تتألم وتُنعم، ويصل ذلك إلى بدنها بطريق الاستتباع ـ فهكذا في البرزخ، بل أعظم؛ فإن تجرد الروح هنالك أكمل، وأقوى، وهي متعلقة ببدنها لم تنقطع عنه كل الانقطاع.

فإذا كان يوم حشر الأجساد، وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهراً بادياً.

ومتى أعْطَيتَ هذا الموضع حقه تبين لك أن ما أخبر به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من عذاب القبر، ونعيمه، وضيقه، وسعته، وضمه، وكونه حفرة من حفر النار، أو روضة من رياض الجنة ـ مطابق للعقل، وأنه حق لا مرية فيه، وأن مَن أشكل عليه ذلك فمن سوء فهمه، وقلة علمه أُتي كما قيل:

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً ... وآفتهُ من الفهمِ السقيمِ[١]

٦- **أن العقل يدل على وقوع عذاب القبر**: وقد مر ما يدل على ذلك في الفقرة الماضية، ومن ذلك ـ أيضاً ـ أن النائم في منامه يرى

---

(١) الروح ص١١٥.

الرؤيا الحق المطابقة للواقع، وربما رأى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على صفته، ومن رآه على صفته فقد رآه حقاً.

ومع ذلك فإن النائم في حجرته على فراشه بعيداً عما رأى.

فإذا كان هذا ممكناً في أحوال الدنيا أفلا يكون ممكنا في أحوال الآخرة؟

٧- أن النعيم، والعذاب، وسعة القبر، وضيقه إنما يدركها الميت دون غيره: ونظير ذلك كما ـ مضى ـ أن النائم يرى في منامه أنه في مكان ضيق موحش، أو في مكان واسع بهيج، وهو بالنسبة لغيره لم يتغير حاله، فهو في منامه وبين فراشه وغطائه.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ بعد أن تكلم على بعض ما يعتري النائم في منامه من الأحوال كما في الفقرة الخامسة قال: «وأعجب من ذلك أنك تجد النائم في فراش واحد، وهذا روحه في النعيم، ويستيقظ وأثر النعيم على بدنه، وهذا روحه في العذاب، ويستيقظ وأثر العذاب على بدنه، وليس عند أحدهما خبر بما عند الآخر؛ فأمر البرزخ أعجب من ذلك»[(١)].

ولقد كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُوحَى إليه وهو بين أصحابه، فيسمع الوحي، ولا يسمعه الصحابة، وربما يتمثل الملك له رجلاً، فيكلمه، والصحابة لا يرون المَلك، ولا يسمعون كلامه.

٨- إن إدراك الخلق محدود بما مكنهم الله ـ تعالى ـ من إدراكه: فلا يُمْكِنهم أن يدركوا كل شيء؛ فكما أن أبصارهم وأسماعهم، وقواهم

(١) الروح ص ١١٥.

لها حد تقف عنده ـ فكذلك عقولهم لها حد يجب أن تقف عنده، فالسموات السبع والأرض ومن فيهن، وكل شيء يسبح بحمد الله تسبيحاً حقيقياً يُسمعهُ الله مَن شاء من خلقه أحياناً.

وهو مع ذلك محجوب عنا، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

وكذلك الجن فهم يسعون في الأرض ذهاباً وإياباً، وقد حضرت الجن إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واستمعوا لقراءته، وأنصتوا، وولوا إلى قومهم منذرين، وهم مع هذا محجوبون عنا.

وفي هذا يقول الله ـ عزوجل ـ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

فإذا كان الخلق لا يدركون كل موجود فإنه لا يجوز لهم أن ينكروا ما ثبت من أمور الغيب ولم يدركوه.

٩- أن النار التي في القبر، والخضرة ليستا من نار الدنيا ولا من زروعها: وإنما هي من نار الآخرة وخضرتها، وهي أشد من نار الدنيا.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ عن تلك النار: «وهي أشد من نار الدنيا، فلا يحس بها أهل الدنيا؛ فانه ـ سبحانه ـ يُحمي عليه ذلك التراب والحجارة التي عليه وتحته حتى يكون أعظم حراً من جمر الدنيا، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بذلك، بل أعجب من هذا أن الرجلين يُدْفنان

أحدهما إلى جنب الآخر، وهذا في حفرة من النار لا يصل حرها إلى جاره، وذلك في روضة من رياض الجنة لا يصل رَوْحها ونعيمها إلى جاره.

وقُدْرَة الرب ـ تعالى ـ أوسع وأعجب من ذلك، وقد أرانا الله من آيات قدرته في هذه الدار ما هو أعجب من ذلك بكثير.

ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علماً إلا من وفقه الله وعصمه» .[١]

١٠- أن أحوال البرزخ قد تشاهد أحياناً: فالأصل ـ كما مر ـ أن أحوال البرزخ غيب، ولكن قد تشاهد أحياناً، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «فإذا شاء الله ـ سبحانه ـ أن يطلع على ذلك بعض عبيده أطلعه، وغيَّبه عن غيره؛ إذ لو أطلع العباد كلهم لزالت كلمة[٢] التكليف، والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس، كما في الصحيحين عنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ «**لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع**».

ولما كانت هذه الحكمة منفية في حق البهائم سمعت ذلك، وأدركته كما حادت برسول الله ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ بغلته، وكادت تلقيه لما مرَّ بمن يعذب» .[٣]

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ : «وحدثني صاحبنا أبو عبد الله محمد ابن الرزيز الحراني أنه خرج من داره بعد العصر بآمد إلى بستان، قال:

---

(١) الروح ص ١١٨-١١٩ .

(٢) هكذا في الأصل، ولعلها: حكمة التكليف.

(٣) الروح ص ١١٩ .

فلما كان قبل غروب الشمس توسطت القبور فإذا بقبر فيها، وهو جمرة نار مثل كوز الزجاج، والميت في وسطه، فجعلت أمسح عيني، وأقول: أنا نائم أم يقظان؟

ثم التفت إلى سور المدينة، وقلت: والله ما أنا بنائم، ثم ذهبت إلى أهلي وأنا مدهوش، فأتوني بطعام، فلم أستطع أن آكل، ثم دخلت البلد، فسألت عن صاحب القبر، فإذا هو مكَّاس قد توفي ذلك اليوم.

فرؤية هذه النار في القبر كرؤية الملائكة والجن تقع أحيانا لمن شاء الله أن يريه ذلك». [١]

ثم أورد ابن القيم ـ رحمه الله ـ جملة من القصص والأخبار في هذا السياق، وقال بعد ذلك: «وهذه الأخبار، وأضعافها، وأضعاف أضعافها مما لا يتسع لها الكتاب مما أراه الله ـ سبحانه ـ لبعض عباده من عذاب القبر ونعيمه عيانا.

وأما رؤية المنام فلو ذكرناها لجاءت عدة أسفار، ومن أراد الوقوف عليها فعليه بكتاب (المنامات) لابن أبي الدنيا، وكتاب (البستان) للقيرواني وغيرهما من الكتب المتضمنة لذلك.

وليس عند الملاحدة والزنادقة إلا التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه». [٢]

هذه بعض الوجوه التي يرد بها على من أنكر عذاب القبر ونعيمه، والمقام لا يتسع لأكثر من ذلك.

---

(١) الروح ص ١١٩.

(٢) الروح ص١٢٤-١٢٥.

الفصل الثاني

أشـراط السـاعـة

وتحتـه : تمهيد وثلاثة مباحث

تمهيـد

أولاً : قواعد عامة مجملة

ثانياً : الموقف الصحيح من أشراط الساعة

ثالثاً : الإيمان بأشراط الساعة لا يعني البطالة وترك الأخذ بالأسباب

المبحث الأول: مفهوم أشراط الساعة

المبحث الثاني: أشراط الساعة الكبرى الدالة على قربها

المبحث الثالث: أشراط الساعة الكبرى الدالة على حصولها



الفصل الثاني

تمهيـــد

أولاً: قواعد عامة مجملة:

١- الساعة آتية لا ريب فيها، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾ [طه: ١٥].

٢- الساعة قريبة، قال ـ تعالى ـ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١].

٣- لا يعلم وقت الساعة إلا الله قال ـ عزوجل ـ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

٤- الساعة غيب، والإيمان بها من جملة الإيمان بالغيب

٥- لا يجوز الاشتغال بتحديد زمن الساعة

٦- للساعة أمارات تدل على قربها، ووقوعها.

ثانياً: الموقف الصحيح من أشراط الساعة:

أن نؤمن بما جاء من النصوص في شأنها، وألا نكلف أنفسنا في استدعائها وطلبها وتنزيلها على الواقع.

بل ندع تفسيرها للواقع؛ حتى لا نرجم بالغيب، ونَـقْفُوَ ما ليس لنا به علم؛ اقتداء بالسلف الصالح الذين آمنوا بتلك النصوص، وأدوها إلينا بكل صدق وأمانة، ولم يقحموا الظنون في تعيينها، وترتـيـب

بعضها على بعض بمجرد الرأي.

وبذلك نسلم من صنيع بعض الناس الذين ربطوا بين النصوص الواردة في أحوال آخر الزمان وأشراط الساعة وبين حال العالم في زماننا هذا، فرتبوا بعضها على بعض، وبنوا على ذلك أموراً نتج عنها فتن عظيمة، وانتهاك للحرمات.

وخلاصة القول في هذه المسألة: أن نؤمن بتلك النصوص، وندع تفسيرها للواقع.[1]

ثالثاً: الإيمان بأشراط الساعة لا يعني البطالة، وترك الأخذ بالأسباب:

لأن تلك الأشراط أمور قدرية كونية، ونحن مأمورون شرعاً ودينا بالتكاليف الشرعية من طاعة الله، والجهاد في سبيله، وطلب العلم، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في ذلك كله، وغير ذلك من الواجبات.

هذا هو المنهج الصحيح لا كما يتوهم بعض الجهلة والبطالين من أن ظهور تلك الأشراط كخروج المهدي، ونزول عيسى ـ عليه السلام ـ سيكون بداية الكسل، والدعة.

بل إن النصوص تشير إلى أن ذلك بداية الفتوح، والجهاد، والبذل في سبيل إعلاء كلمة الله ـ عزوجل ـ.[2]

---

(١) انظر المهدي حقيقة لا خرافة للشيخ محمد بن إسماعيل ص ١٨١.

(٢) المرجع السابق.

المبحث الأول: مفهوم أشراط الساعة

إذا كان الله ـ عز وجل ـ أخفى وقت وقوع الساعة على عباده ـ فإنه قد أعلمهم بأمارات وعلامات تدل على قرب وقوعها.

وقد سمى الله ـ عز وجل ـ تلك الأمارات أشراط الساعة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴾ [محمد: ١٨].

وإليك هذه المسائل حول مفهوم هذه الأشراط:

أولاً: تعريف أشراط الساعة:

أ - تعريف الأشراط: أصل الكلمة: مادة (شَرَطَ) والأشراط جمع.

قال ابن فارس ـ رحمه الله ـ: «الشين، والراء، والطاء أصلٌ يدل على عَلَم، وعلامة، وما قارب ذلك».[١]

وقال ابن منظور ـ رحمه الله ـ : «الشَّرط بالتحريك: العلامة، والجمع أشراط».[٢]

ب- تعريف كلمة الساعة:

❊ **الساعة في اللغة:** أصل هذه الكلمة في اللغة مادة (سَوَع).[٣]

وكلمة الساعة تطلق في اللغة والعرف عدة إطلاقات، وتدور حول

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣/ ٢٦٠.

(٢) لسان العرب ٧/ ٣٢٨.

(٣) انظر معجم مقاييس اللغة ٣/ ١١٦.

معنى الوقت أو جزء الوقت، أو الحاضر منه.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: «والساعة كلمة يعبر عنها في العربية عن جزء من الزمان غير محدود.

وفي العرف على جزء من أربعة وعشرين جزءاً في يوم وليلة، واللذان هما أصل الأزمنة.

وتقول العرب: أفعل كذا الساعة، وأنا الساعة في أمر كذا تريد الوقت الذي أنت فيه، والذي يليه تقريباً.

وحقيقة الإطلاق فيها أن الساعة بالألف واللام عبارة في الحقيقة عن الوقت الذي أنت فيه، وهو المسمى بـ: الآن».[١]

※ **الساعة في الاصطلاح الشرعي**: هي الوقت الذي تقوم فيه القيامة.[٢]

جـ - لم سميت الساعة بذلك: إما لقربها؛ فإن كل آتٍ قريب، أو لسرعة الحساب فيها، أو لأنها تأتي بغتة في ساعة، أو لسعي الأرواح إلى الأجساد بسرعة في ذلك اليوم، أو لغير ذلك.[٣]

د - تعريف أشراط الساعة: هي علاماتها، وأعلامها التي تسبقها، وتدل على قربها، وقيامها، ومجيء الساعة بعدها، وانتهاء الدنيا وانقضائها.[٤]

---

(١) التذكرة ص ٢٤٥.

(٢) انظر أشراط الساعة للشيخ د. يوسف الوابل ص ٧٣.

(٣) انظر التذكرة ص ٢٤٥-٢٤٦.

(٤) انظر معجم مقاييس اللغة ٣/ ٣٦٠، والتذكرة ص٧٠٩، ولسان العرب ٧/ ٣٢٨، وفتح الباري ١٣/ ٧٩.

هـ - **إطلاقات الساعة في الشرع**: تطلق الساعة في الشرع على ثلاثة إطلاقات:

١- **الساعة الصغرى**: وهي موت الإنسان؛ فمن مات قامت قيامته؛ لدخوله في عالم الآخرة

٢- **الساعة الوسطى**: وهي موت أهل القرن

٣- **الساعة الكبرى**: وهي بعث الناس من قبورهم للحساب والجزاء.[١]

و - **ما المراد بالساعة إذا أطلقت في القرآن**: المراد بها القيامة الكبرى.[٢]

ز - **أقسام أشراط الساعة**: تنقسم إلى قسمين:

١- **أشراط صغرى**: وهي التي تتقدم الساعة بأزمان متطاولة، وتكون من نوع المعتاد، كقبض العلماء، وظهور الجهل، وشرب الخمر، والتطاول في البنيان، ونحو ذلك كما سيأتي بيانه.

وقد يكون بعضها مصاحباً للأشراط الكبرى.

٢- **أشراط كبرى**: وهي الأمور العظام التي تظهر قرب قيام الساعة، وتكون غير معتادة الوقوع، كظهور الدجال، ونزول عيسى، وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها.[٣]

ح - **الحكمة في تقديم أشراط الساعة ودلالة الناس عليها**: قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: «والحكمة في تقديم الأشراط، ودلالة الناس عليها

---

(١) انظر أشراط الساعة للوابل ص٧٤-٧٥.

(٢) أشراط الساعة ص٧٥.

(٣) انظر التذكرة ص٧٠٩-٧١٠، وأشراط الساعة ص٧٧.

تنبيه الناس من رقدتهم، وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة؛ كي لا يباغتوا بالحول بينهم وبين تدارك العوارض منهم؛ فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم، وانقطعوا عن الدنيا، واستعدوا للساعة الموعود بها، والله اعلم».[١]

ثانياً: أشراط الساعة الصغرى:

أشراط الساعة الصغرى كثيرة، والمجال لا يتسع لذكرها مفصلة؛ فإليك طرفاً من هذه الأشراط على وجه الإجمال، مع ملاحظة أن بعضها قد وقع، وبعضها لم يقع، بل إن بعضها مقارن لأشراط الساعة الكبرى.[٢]

١- بعثة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

٢- موت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

٣- فتح بيت المقدس.

٤- طاعون عَمَواس.

٥- استفاضة المال والاستغناء عن الصدقة.

٦- ظهور الفتن.

٧- ظهور مدعي النبوة.

---

(١) التذكرة ص٧٠٩.

(٢) انظر تفاصيل ذلك في كتاب القيامة الصغرى للأشقر ص١٣٩-٢١٥، وأشراط الساعة ص٧٩-٢٣٥.

٨- انتشار الأمن.
٩- ظهور نار الحجاز.
١٠- قتال الترك.
١١- قتال العجم.
١٢- ضياع الأمانة.
١٣- قبض العلم وظهور الجهل.
١٤- كثرة الشرط وأعوان الظلمه.
١٥- انتشار الزنا.
١٦- انتشار الربا.
١٧- ظهور المعازف واستحلالها.
١٨- كثرة شرب الخمر واستحلالها.
١٩- زخرفة المساجد، والتباهي بها.
٢٠- التطاول في البنيان.
٢١- ولادة الأَمَة ربتها.
٢٢- كثرة القتل.
٢٣- تقارب الزمان.
٢٤- تقارب الأسواق.
٢٥- ظهور الشرك في هذه الأمة.
٢٦- ظهور الفحش وقطيعة الرحم، وسوء الجوار.
٢٧- تشبب المشيخة.

٢٨- كثرة الشح.
٢٩- كثرة التجارة.
٣٠- كثرة الزلازل.
٣١- ظهور الخسف والمسخ والقذف.
٣٢- ذهاب الصالحين.
٣٣- ارتفاع الأسافل.
٣٤- أن تكون التحية للمعرفة.
٣٥- التماس العلم عند الأصاغر.
٣٦- ظهور الكاسيات العاريات.
٣٧- صدق رؤيا المؤمن.
٣٨- كثرة الكتابة وانتشارها.
٣٩- التهاون بالسنن التي رغب فيها الإسلام.
٤٠- انتفاخ الأهلة.
٤١- كثرة الكذب وقلة التثبت في الأخبار.
٤٢- كثرة شهادة الزور، وكتمان شهادة الحق.
٤٣- كثرة النساء وقلة الرجال.
٤٤- كثرة موت الفجأة.
٤٥- وقوع التناكر بين الناس.
٤٦- عودة أرض العرب مروجاً وأنهاراً.
٤٧- كثرة المطر وقلة النبات.

٤٨- حسر الفرات عن جبل من ذهب.

٤٩- كلام السباع والجمادات للإنس.

٥٠- تمني الموت من شدة البلاء.

٥١- كثرة الروم وقتالهم للمسلمين.

٥٢- فتح القسطنطينية.

٥٣- خروج القحطاني الذي تدين له الناس بالسمع والطاعة، وتجتمع عليه.

٥٤- قتال اليهود.

٥٥- بعث الريح الطيبة لقبض أرواح المؤمنين.

٥٦- استحلال البيت الحرام، وهدم الكعبة.

ثالثاً: ترتيب أشراط الساعة الكبرى:

لقد جاءت الأحاديث التي نصت على أشراط الساعة الكبرى مجموعة غير مرتبة؛ إذ كان ترتيبها في الذكر لا يقتضي ترتيبها في الوقوع؛ فقد جاء العطف فيها بالواو، وذلك لا يقتضي الترتيب.

ومن النصوص ما خالف ترتيب الأشراط فيها ترتيبها في نص آخر.[1]

وهذه جملة من الأحاديث التي تعرضت لذكر الأشراط الكبرى جملة، أو ذكر بعضها.

---

(١) انظر التذكرة ص ٧٣٩، وأشراط الساعة ص ٢٣٩.

روى الإمام مسلم في صحيحه عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: اطلع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ علينا، ونحن نتذاكر، فقال: «**ما تذاكرون؟** » قالوا: نذكر الساعة، قال: «**إنها لن تقوم حتى ترو قبلها عشر آيات**»

فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.(١)

وروى مسلم هذا الحديث عن أبي سُريحة حذيفة بن أسيد بلفظ آخر، قال: كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في غرفة، ونحن أسفل منه، فاطلع إلينا فقال: «**ما تذكرون؟**»، قلنا الساعة. قال: «**إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس**».

وفي رواية في العاشرة: نزول عيسى بن مريم.

وفي رواية: وريح تلقي الناس في البحر.(٢).

وروى مسلم ـ أيضا ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول

---

(١) مسلم (٢٩٠١).

(٢) المرجع السابق.

الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**بادروا بالأعمال ستاً، طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة**».[١]

وفي لفظ آخر: «**بادروا بالأعمال ستاً: الدجال، والدخان، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة، وخويصة أحدكم**».[٢]

وعن عبدالله بن عمرو قال: حفظت من رسول الله حديثاً لم أُنْسَهُ بعد، سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: «**إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً**».[٣]

والذي يمكن معرفته من خلال هذه الأحاديث هو ترتيب بعض الأشراط من خلال حدوث بعضها إثر بعض؛ لأن الترتيب جاء بلفظين مختلفين في ترتيب بعض الأشراط، وفي أداة العطف؛ حيث جاء مرة بـ(أو)، ومرة بـ(الواو) وهما لا يدلان على الترتيب.[٤]

ولهذا اختلف العلماء في ترتيب الأشراط، وقد جمع الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ بين أولية الدجال، وأولية خروج الشمس من مغربها، فقال: «الذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات

---

(١) مسلم (٢٩٤٧).
(٢) المرجع السابق.
(٣) رواه مسلم (٢٩٤١).
(٤) انظر أشراط الساعة ص١٤٢.

العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى ـ عليه السلام ـ .

وأن طلوع الشمس من مغربها هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة.

ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب»

ثم قال: «والحكمة في ذلك أنه عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة؛ فتخرج الدابة؛ تميز المؤمن من الكافر؛ تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة.

وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة النار التي تحشر الناس».[١]

وقال الطيبي ـ رحمه الله ـ «الآيات أمارات للساعة، إما على قربها، وإما على حصولها.

فمن الأول: الدجال، ونزول عيسى، ويأجوج ومأجوج، والخسف.

ومن الثاني: الدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والنار التي تحشر الناس».[٢]

وهذا تقسيم حسن دقيق، وسيكون الحديث عن أشراط الساعة الكبرى في المبحث الأتي حسب هذا الترتيب الذي ذكره الطيبي.

---

(١) فتح الباري ١١/ ٣٥٣.

(٢) فتح الباري ١١/ ٣٥٢.

وقبل ذلك سيكون الحديث عن المهدي؛ لأن ظهوره سابق لهذه العلامات؛ فهو الذي يجتمع عليه المؤمنون؛ لقتال الدجال؛ ثم ينزل عيسى ـ عليه السلام ـ ويصلي خلف المهدي ـ كما سيأتي ـ.

رابعاً: تتابع ظهور الأشراط الكبرى:

بغض النظر عن ترتيب الأشراط الكبرى؛ فإنها إذا ظهر منها أول علامة تتابعت الآيات كتتابع الخرز في النظام، يتبع بعضها بعضاً، ولا يكاد يفصل بينها فاصل.(١)

روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**خروج الآيات بعضها على إثر بعض، يتتابعْن كما تتابع الخرز في النظام**».(٢)

وروى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**الآيات خرزات منظومات في سلك؛ فإن يقطع السلك يتبعْ بعضها بعضاً**».(٣)

---

(١) انظر القيامة الصغرى ص٢١٧-٢١٨، وأشراط الساعة ص٢٤٥.

(٢) قال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح غير عبدالله ابن أحمد بن حنبل، وداود الزهراني، وكلاهما ثقة» مجمع الزوائد ٧/ ٣٣١، وقال الألباني: في صحيحه الجامع (٣٢٢٢): «صحيح»

(٣) المسند (٧٠٤٠) تحقيق أحمد شاكر، وقال: «إسناده صحيح»

والذي يظهر ـ والله أعلم ـ أن المراد بهذه الآيات هي علامات الساعة الكبرى؛ فإن ظاهر هذه الأحاديث يدل على تقارب ظهورها تقارباً شديداً.(١)

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «وقد ثبت أن الآيات العظام مثل السلك إذا انقطع تناثر الخرز بسرعة وهو عند أحمد».(٢)

* * *

(١) انظر أشراط الساعة ص ٢٤٦

(٢) فتح الباري ١٣/ ٧٧.

المبحث الثاني

أشراط الساعة الكبرى الدالة على قربها

أولاً: المهدي المنتظر:[1]

فالمهدي المنتظر من أشراط الساعة، بل هو سابق على الأشراط الكبرى التي اختلف في ترتيبها ـ كما مر ـ

ولقد جاءت الأحاديث في ذكر حقيقة هذا المهدي، واسمه، وصفته، ونحو ذلك مما جاء في شأنه.

والحديث عنه في هذا المبحث سيتناول الجوانب التالية:

أ - **مَن المهدي؟**: هو رجل من آل بيت النبوة يخرج في آخر الزمان، يلي أمر هذه الأمة، ويملك سبع سنين، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما مُلِئت جوراً وظلماً.

وفي عهده تنعم الأمة نعمة لم تنعمها قط؛ حيث يسود العدل، وتمطر السماء قطرها، وتخرج الأرض نباتها، ويعطى المال بغير عدد.

ب - **اسم المهدي**: اسمه يوافق اسم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) انظر تفاصيل الحديث عن المهدي في الكتب التالية: التذكرة ص٦٩١-٧٠٤، والرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي، وعقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر، كلاهما للشيخ عبدالمحسن العباد، والمهدي حقيقة لا خرافة للشيخ محمد بن إسماعيل المقدم، والقيامة الصغرى للأشقر ص٢٠٦-٢١٥، وأشراط الساعة ص٢٤٩-٢٧٣.

واسم أبيه كاسم أب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيكون اسمه: محمد ـ أو أحمد ـ بن عبدالله، وهو من ذرية فاطمة بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم من ولد الحسن بن علي ـ رضي الله عنهم ـ.

جـ - صفته الواردة: أنه أجلى الجبهة[١]، أقنى الأنف.[٢]

د - مكان خروجه: يكون ظهور المهدي من قبل المشرق كما صرحت بذلك الأحاديث.

هـ - تواتر أحاديث المهدي: الأحاديث التي جاءت في المهدي تبلغ حد التواتر.

وقد أحصى الشيخ عبد المحسن العباد ـ حفظه الله ـ عدد الصحابة الذين رووا أحاديث المهدي فبلغوا ستة وعشرين صحابياً، وأحصى الكتب التي أخرجت هذه الأحاديث فبلغت ستة وثلاثين كتاباً.[٣]

و - بعض الأدلة من السنة في المهدي:

١- عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطى المال صحاحاً، وتكثر الماشية، يعيش سبعاً أو ثمانياً ـ يعني حججاً**».[٤]

---

(١) أجلى الجبهة: الأجلى: هو الخفيف الشعر ما بين النزعتين من الصدغين، والذي انحسر الشعر عن جبهته.

(٢) أقنى الأنف: القنى في الأنف طوله ورقة أرنبته، مع حدب في وسطه.

(٣) انظر عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر ص١٦٦-١٦٨.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٥٧-٥٥٨، وقال: «هذا حديث صحيح

٢- وعنه - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «**أبشركم بالمهدي، يبعث على اختلاف من الناس، وزلازل، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، يقسم المال صحاحاً**» فقال له رجل: ما صحاحاً؟ قال: «**بالسوية بين الناس**».[(١)]

٣- وعن علي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «**المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة**.»[(٢)]

قال ابن كثير - رحمه الله -: «أي يتوب عليه، ويوفقه، ويلهمه، ويرشده، بعد أن لم يكن كذلك».[(٣)]

وقال القاري: «أي يصلح أمره، ويرفع قدره في ليلة واحدة، أو في ساعة واحدة من الليل؛ حيث يتفق على خلافته أهل الحل والعقد فيها».[(٤)]

٤- وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «**المهدي مني أجلى الجبهة، أقنى الأنف،**

= الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي

(١) أخرجه أحمد وقال الهيثمي: «رواه الترمذي، وغيره باختصار كثير، ورواه أحمد بأسانيد، وأبو يعلى باختصار كثير، ورجالهما ثقات» مجمع الزوائد ٧/ ٣١٣-٣١٤.

(٢) رواه أحمد ٢/ ٥٨، تحقيق أحمد شاكر، وقال: «إسناده صحيح».

(٣) النهاية في الفتن والملاحم ١/ ٢٩.

(٤)مرقاة المفاتيح ٥/ ١٠٨، وانظر المهدي حقيقة لا خرافة ص٢٧-٢٨.

يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يملك سبع سنين».[(١)]

٥- وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **«كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»**.[(٢)]

❋ ❋ ❋

(١) رواه أبو داوود(٥/ ٤٢٦)، والحاكم ٤/ ٥٥٧ و قال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

(٢) رواه البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥).

ثانياً: المسيح الدجال

أ - **معنى المسيح**: تطلق هذه الكلمة إطلاقات عديدة:

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: «واختلف في لفظة المسيح على ثلاثة وعشرين وجهاً ذكرها أبو الخطاب ابن دحيه في كتابه (مجمع البحرين) وقال: لم أر من جمعها قبلي ممن رحل، وجال، ولقي الرجال»(١) ثم شرع ـ رحمه الله ـ في تعداد تلك الوجوه.(٢)

ومن إطلاقات تلك اللفظة أنها تطلق على الصِّدِّيق، والضِّلِّيل الكذاب، وتطلق على المارد، والخبيث، والأعور، والذي يمسح الأرض سياحة فيها، وتطلق على غير ذلك.

ب- **معنى الدجال**: الدجال يطلق ـ كذلك ـ إطلاقات عديـدة، قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: «قال ابن دحية: قال العلماء: الدجال في اللغة يطلق على عشرة وجوه».(٣)

ومن تلك الإطلاقات ما يلي:

١- الكذاب؛ لأنه يدجل الحق بالباطل.

٢- أنه من التغطية؛ لأنه يغطي الأرض بمجموعه.

٣- أنه سمي دجالاً؛ لقطعه الأرض.

٤- وقيل: لأنه يغر الناس.

---

(١) التذكرة ص٧٦٦.

(٢) انظر التذكرة من ص٧٦٦-٧٦٩.

(٣) التذكرة ص٧٤٤.

٥- والدجال: هو المُمَخْرِق.

٦- والدجال: هو المموه.[١]

ج - المسيح الدجال: هو مسيح الضلالة الذي يخرج في آخر الزمان، والذي يفتن الناس بما يعطاه من الآيات والخوارق كإنزال المطر، وإحياء الأرض بالنبات، ونحو ذلك.

د - صفة الدجال: الدجال رجل من بني آدم له صفات كثيرة جاءت بها الأحاديث؛ لتعريف الناس به، وتحذيرهم من شره؛ حتى إذا خرج عرفه المؤمنون؛ فلا يفتنون به، بل يكونون على بيِّنة من أمره.

وهذه الصفات تميزه عن غيره من الناس؛ فلا يغتر به إلا الجاهل الذي غلبت عليه الشقوة.

ومن صفات الدجال: أنه رجل شاب، أحمر، قصير، أفحج، جعد الرأس، أجلى الجبهة، عريض النحر، ممسوح العين اليمنى، وهذه العين ليست بناتئة[٢]، ولا جحراء[٣] كأنها عنبة طافئة، وعينه اليسرى عليها ظفرة غليظة، ومكتوب بين عينيه (ك ف ر) بالحروف المقطعة، أو (كافر) بدون تقطيع، يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب.

ومن صفاته أنه عقيم لا يولد له.[٤]

---

(١) انظر التذكرة ص٧٤٤-٧٤٥.

(٢) ليست بناتئة: أي ليست بارزة.

(٣) ولا جحراء: أي ليست غائرة منجحرة.

(٤) انظر أشراط الساعة ص٢٧٧-٢٧٨.

هذه بعض صفاته التي صرحت بها الأحاديث.[1]

هـ- **مكان خروجه:** يخرج الدجال من جهة المشرق من خراسان، من يهودية أصبهان.

و- **سرعة انتقاله في الأرض:** بعد أن يخرج الدجال يسير في الأرض فلا يدع بلداً إلا دخله إلا مكة والمدينة فلا يستطيع دخولهما؛ لأن الملائكة تحرسهما.

ز- **دعاوى الدجال:** الدجال يدعي النبوة، ثم يدعي الربوبية، والألوهية.

ح- **ما يدعو إليه:** الدجال يدعو إلى فتنة الناس، وصدهم عن دينهم، ويدعو إلى تصديقه، والإيمان بأنه الرب الإله، وذلك بسبب ما يعطاه من الآيات والخوارق.

ط- **عظم فتنته:** فتنة الدجال أعظم الفتن أو من أعظم الفتن منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة؛ وذلك بسبب ما يخلق الله معه من الخوارق العظيمة التي تبهر العقول، وتحير الألباب.

فقد ورد أن معه جنةً وناراً، وجنته نارٌ، وناره جنةٌ، وأن معه أنهار الماء، وجبال الخبز، وأنه يأمر السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت.

---

(١) انظر على سبيل المثال صحيح البخاري (١٨٨٢ و٧١٣٢) ومسلم (٢٩٤٠ و٢٩٤١ ، ٢٩٤٢ و ٢٩٤٣ و ٢٩٤٤ و ٢٩٤٥ و ٢٩٤٦ و٢٩٤٧) وسنن أبي داوود ١١/ ٤٤٣.

وورد أن كنوز الأرض تتبعه، وأنه يقطع الأرض بسرعة عظيمة كسرعة الغيث إذا استدبرته الريح، وأن الجماد والحيوان يستجيب له، وأنه يقتل شاباً ثم يحييه إلى غير ذلك من الخوارق التي جاءت بها الأحاديث الصحيحة.

ومن أجل ذلك فإن جميع الأنبياء حذروا أقوامهم من فتنة الدجال، ورسولنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان أشدهم تحذيراً منه.[1]

جاء في صحيح مسلم عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ قال: «سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول ـ **ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال**».[2]

وجاء في صحيح البخاري عن أنس ـ رضي الله عنه ـ «**ما بُعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وإن بين عينيه مكتوب كافر**».[3]

ي- أتباعــه: أكثر أتباع الدجال من اليهود، والعجم، والترك، وأخلاط الناس، وغالبهم الأعراب والنساء.

روى مسلم عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة**».[4]

---

(١) انظر القيامة الصغرى ص٢٢٤، وأشراط الساعة ص٣١٣.

(٢) مسلم (٢٩٤٦).

(٣) البخاري (١٣١٧).

(٤) مسلم (٤٤٩٢).

وعن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ قال: حدثنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها: خراسان، يتبعه أقوام كأن وجوهم المَجانُّ المُطرقة**[١]»[٢].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «والظاهر والله ـ أعلم ـ أن المراد هؤلاء الترك أنصار الدجال»[٣].

ك- ما وجه كون أكثر أتباعه من الأعراب والنساء؟: أما الأعراب فلأن الجهل غالب عليهم، ولما جاء في حديث أبي أمامة الطويل من قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**وإن من فتنته ـ أي الدجال ـ أن يقول للأعرابي أرايت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟**

فيقول: نعم، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان: يا بني!: اتبعه؛ فإنه ربك»[٤].

وأما النساء فحالهن أشد من حال الأعراب؛ لسرعة تأثرهن، وغلبة الجهل عليهن؛ ففي الحديث عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**ينزل الدجال في هذه السبخة**

---

(١) المجان المُطرَقة: المَجانُّ جمع مِجَنٍّ وهو الترس، والمطرقة هي التي عوليت بطراق، وهو الجلد الذي يغشاه، حيث شَبَّه وجوهم في عرضها وغِلَظها، ونتوء وجناتها بالترس المطرقة. انظر التذكرة ص ٦٧٤-٦٧٥.

(٢) رواه الترمذي ٦/ ٤٩٥ ، تحفة قال الألباني :«صحيح» انظر صحيح الجامع (٣٣٩٨).

(٣) النهاية ـ الفتن والملاحم ١/ ١١٧.

(٤) رواه ابن ماجة ٢/ ١٣٥٩-١٣٦٣.

بمرقناة[١]، فيكون أكثر من يخرج إليه النساء، حتى إن الرجل يرجع إلى حميمته، وإلى أمه، وابنته وأخته وعمته فيوثقها رباطاً؛ مخافة أن تخرج إليه». [٢]

ل - **مكثه في الأرض**: يمكث في الأرض أربعين يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كأسبوع، وسائر أيامه كسائر أيامنا؛ فمجموع مكثه في الأرض بأيامنا هذه أربعة عشر شهراً، وأربعة عشر يوماً تقريباً. [٣]

جاء في حديث النواس بن سمعان ـ رضي الله عنه ـ في ذكر الدجال أن الصحابة قالوا: «يا رسول الله! وما لُبْثُهُ في الأرض؟ : «**قال أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم**». [٤]

م - **الوقاية من فتنة الدجال**: لقد أرشد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمته إلى ما يعصمها من فتنة المسيح الدجال، وإليك بعض الإشارات الموجزة التي تعصم من تلك الفتنة العظيمة. [٥]

١ - **التمسك بالإسلام، والاعتصام بالله** ـ جل وعلا ـ قال ـ تعالى ـ:

﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

---

(١) مرقناة: وادٍ بالمدينة يأتي من الطائف ويمر بطرق القدوم في أصل قبور الشهداء في أحد. انظر معجم البلدان ٤/ ١٠١.

(٢) رواه أحمد ٧/ ١٩٠ تحقيق أحمد شاكر وقال: «إسناده صحيح».

(٣) انظر أشراط الساعة للشيخ الأمين الحاج ص٢٨.

(٤) رواه مسلم (٢٩٣٧)

(٥) انظر تفصيل ذلك في أشراط الساعة للوابل ص٣٢٥.

٢- **العلم بأسماء الله وصفاته:** التي لا يشاركه فيها أحد؛ فيعلم أن الدجال بَشَرٌ يأكل ويشرب، ويعتريه ما يعتري البشر، وأن الله ـ تعالى ـ منزه من ذلك، وأن الدجال أعور، والله ليس بأعور، وأنه لا أحد يرى ربه حتى يموت، والدجال يراه الناس عند خروجه مؤمنهم وكافرهم.

٣- **التعوذ بالله من فتنة الدجال:** وخاصة في الصلاة، وقد جاءت الأحاديث الصحيحة في ذلك.

ومن ذلك ما رواه الشيخان عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يدعو في الصلاة: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال**».[(١)]

٤- **حفظ آيات من سورة الكهف:** فقد أمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقراءة فواتح سورة الكهف على الدجال، وفي بعض الروايات خواتيمها، وذلك بقراءة عشر آيات من أولها أو آخرها.

جاء في صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان الطويل «**من أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف**».[(٢)]

وجاء في مسلم ـ أيضا ـ عن أبي الدرداء أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال**» أي من فتنته.

---

(١) البخاري (٢٣٩٧، ٨٣٣، ٨٣٢) ومسلم (٥٨٩).

(٢) مسلم (٢٩٣٧).

قال مسلم: «قال شعبة: من آخر الكهف، وقال همام: من أول الكهف».[١]

٥- **الفرار من الدجال والابتعاد عنه:** وذلك بسبب ما معه من الشبهات والخوارق العظيمة التي يجريها الله على يديه؛ فتنة للناس؛ فإنه يأتيه الرجل وهو يظن في نفسه الإيمان والثبات، فيتبع الدجال.

قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**من سمع بالدجال فلينأ عنه؛ فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما يبعث به من الشبهات، أو لما يبعث به من الشبهات**».[٢]

ن- **هلاك الدجال:** يكون هلاك الدجال على يدي عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة.

وذلك أن الدجال يظهر على الأرض كلها إلا مكة والمدينة، ويكثر أتباعه وتعم فتنته، ولا ينجو منها إلا قلة من المؤمنين.

وعند ذلك ينزل عيسى ـ عليه السلام ـ على المنارة الشرقية بدمشق، ويلتف حوله عباد الله المؤمنون، فيسير بهم قاصداً المسيح الدجال، ويكون الدجال عند نزول عيسى متوجهاً نحو بيت المقدس، فيلحق به عيسى عند باب (لُدّ).[٣]

---

(١) مسلم (٨٠٩).

(٢) أخرجه الحاكم ٤/ ٥٣١، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجه» وسكت عنه الذهبي.

(٣) لُدّ: بلدة في فلسطين قرب بيت المقدس.

فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الملح، فيقول له عيسى ـ عليه السلام ـ: «إن لي فيك ضربة لن تفوتني.

فيتداركه عيسى، فيقتله بحربته، وينهزم أتباعه، فيتبعهم المؤمنون، فيقتلونهم، حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم! يا عبدالله! هذا يهودي خلفي فاقتله، إلا شجر الغرقد؛ فإنه من شجر اليهود».(١)

س- فتنة الدجال فتنة شخص، وفتنة جنس: ففتنة الدجال ـ إذاً ـ على نوعين:

أحدهما: فتنة شخص: والمقصود بهذه الفتنة الدجال الذي يخرج في آخر الزمان كما مر الحديث عنه.

الثاني: فتنة جنس: والمقصود بها كل فتنة يقارنها تمويهات، ويقترن بها شبهات؛ فإنها من جنس فتنة الدجال.(٢)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «وفتنة الدجال لا تختص بالموجودين في زمانه، بل حقيقة فتنته: الباطل المخالف للشريعة، المقرون بالخوارق؛ فمن أقر بما يخالف الشريعة لخارق فقد أصابه نوع من هذه الفتنة، وهذا كثير في كل زمان ومكان.

لكن هذا المعين فتنته أعظم الفتن؛ فإذا عصم الله عبده منها سواء أدركه أو لم يدركه كان معصوماً مما هو دون الفتنة».

---

(١) انظر صحيح مسلم (٢٩٣٧).

(٢) انظر الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في العقيدة د. عبدالرزاق العباد ص٢٤١-٢٤٢.

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: «ومعلوم أن ما ذُكر معه من التعوذات من عذاب جهنم والقبر وفتنة المحيا والممات أُمِر به كل مصلٍّ؛ إذ هذه الفتن جارية على كل أحد، ولا نجاة إلا بالنجاة منها؛ فدل على أن فتنة الدجال كذلك.

ولو لم تصب فتنته إلا مجرد الذين يدركونه، لم يؤمن بذلك كل الخلق، مع العلم بأن جماهير الخلق لا يدركونه، ولا يدركه إلا أقل القليل من الناس المأمورين بهذا الدعاء.

وهكذا إنذار الرسل إياه أممهم يقتضي تخويف عموم فتنته، وإن تأخر شخصه حتى يقتله المسيح.

وكثيراً ما وقع في قلبي أن هؤلاء الاتحادية أحق الناس باتباع الدجال، ومع هذا فقد جرى للمؤمنين مع أتباعهم من المحنة الواقعة في الإسلام.

ومعلوم أن هذه الفتنة هي نتيجة محنة الدجال، بل هذه النتيجة أقرب إلى محنة الدجال من غيرها».[1]

* * *

(١) السبعينية لابن تيمية ٥/ ٣٣١ضمن مجموعة الفتاوى المصرية

خبر ابن صياد، وهل هو الدجال الأكبر ؟

أ - تعريف بابن صياد[١]: اسمه صافي، وقيل عبدالله بن صياد، أو صائد.

كان من يهود المدينة، وقيل من الأنصار، وكان صغيراً عند قدوم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة.

وذكر ابن كثير أنه أسلم، وكان ابنه عمارة من سادات التابعين، روى عنه الإمام مالك وغيره.

وترجم له ابن حجر ـ رحمه الله ـ وقال: «ومن ولده عمارة بن عبدالله بن صياد وكان من خيار المسلمين من أصحاب سعيد بن المسيب، روى عنه مالك وغيره».[٢]

ب - أحوال ابن صياد: كان دجالاً، وكان يتكهن أحياناً، فيصدُق، ويكذب، فانتشر خبره بين الناس، وشاع أنه الدجال.

ج - امتحان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ له: لما شاع أمر ابن صياد، وأنه هو الدجال أراد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يطَّلع على أمره، ويتبين حاله؛ فكان يذهب إليه مختفياً؛ حتى لا يشعر به ابن صياد؛ رجاء أن يسمع منه شيئاً، وكان يوجه إليه بعض الأسئلة التي تكشف عن حقيقته.

---

(١) انظر شرح النووي لمسلم ١٨/ ٤٦، والنهاية الفتن والملاحم لابن كثير ١/ ١٢٨، وفتح الباري ٣/ ٢٢٠ ، ٦/ ١٦٤، وأشراط الساعة ٢٨٣ ـ ٣٠٩.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٣/ ١٣٣.

جاء في الصحيحين عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن عمر انطلق مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في رهط قِبَل ابن صياد، حتى وجدوه يلعب مع الصبيان عند أُطُم بني مَغَالة[1] وقد قارب ابن صياد الحلمَ، فلم يشعر حتى ضرب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيده ثم قال لابن صياد: «**تشهد أني رسول الله**».

فنظر إليه ابن صياد فقال: أشهد أنك رسول الأميين.

فقال ابن صياد للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: أتشهد أني رسول الله؟ فرفضه[2]، وقال: «**آمنت بالله وبرسله**».

فقال له: «**ماذا ترى**».

قال ابن صياد: يأتيني صادق وكاذب.

فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**خُلِّط عليك الأمر**».

ثم قال له النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**إني قد خبأت لك خبيئاً**».

فقال ابن صياد: هو الدخُّ.

فقال: «**اخسأ؛ فلن تعدو قدرك**».

فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: دعني يا رسول الله أضرب عُنُقَه.

فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**إن يكنه فلن تسلط عليه،**

---

(١) الأطم: الحصن، ومغالة: بطن من الأنصار. انظر الفتح ٣/ ٢٦١.

(٢) فرفضه: أي تركه وفي رواية «فرصَّه»: أي ضغطه وضم بعضه إلى بعض. انظر الفتح ٣/ ٢٦٢.

وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله»[١].

وفيهما عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ يقول: انطلق بعد ذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبيٌّ بن كعب إلى النخل التي فيها ابن صياد، وهو يختل[٢] أن يسمع من ابن صياد شيئاً قبل أن يراه ابن صياد، فرآه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو مضطجع ـ يعني في قطيفة له فيها رَمزةٌ أو زَمْرةٌ ـ [٣].

فرأت أم ابن صياد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يتقي بجذوع النخل، فقالت لابن صياد: يا صافِ ـ وهو اسم ابن صياد ـ هذا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فثار ابن صياد، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **«لو تَركَتْه بيّن»**[٤].

فامتحان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ له بالدخان؛ ليتعرف على حقيقة أمره.

---

(١) البخاري (١٣٥٤)، ومسلم (٢٩٣٠).

(٢) قوله: (يختل) أي يخدعه، والمراد أنه كان يستغفله؛ ليسمع كلامه، وهو لا يشعر.

(٣) قوله: (رمزة أو زمرة): قال ابن حجر: «كذا للأكثر على الشك في تقديم الراء على الزاي أو تأخيرها، ولبعضهم: (زمزمة أو رمرمة): على الشك هل هو بزايين أو براءين مع زيادة ميم فيهما، ومعاني هذه الكلمات المختلفة متقاربة؛ ثم بين أن الرمز: هو الإشارة، والزمر: حكاية الصوت، والرمرمة: الصوت الخفي، والزمزمة: تحريك الشفتين بالكلام. انظر الفتح ٣/ ٢٦١ ـ ٢٦٢.

(٤) البخاري (١٣٥٥)، ومسلم (٢٩٣١)

والمراد بالدخان هنا قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠].

وقد وقع في رواية ابن عمر عند الإمام أحمد: «**إني قد خَبَأت لك خبيئاً، وخبأ له**: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾» [الدخان: ١٠][(١)].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «ابن صياد كاشف على طريقة الكهان بلسان الجان، وهم يقرظون ـ أي: يقطعون ـ العبارة، ولهذا قال: هو الدخُّ، يعني: الدخان، فعندها عرف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مادَّته، وأنها شيطانية، فقال له: «**اخسأ؛ فلن تعدو قدرك**».[(٢)]

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ : «قال أبو سليمان الخطابي: وقد اختلف الناس في أمر ابن صياد اختلافاً كثيراً، وأشكل أمره، حتى قيل فيه كل قول.

وقد يُسأل عن هذا: فيقال: كيف يقارن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من يدعي النبوة كاذباً، ويتركه في المدينة يساكنه في داره، ويجاوره فيها؟ وما وجه امتحانه إياه بما خبأه له من آية الدخان، وقوله بعد ذلك: «**اخسأ فلن تعدو قدرك**»؟

قال أبو سليمان: والذي عندي أن هذه القضية إنما جرت معه أيام مهادنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اليهود وحلفاءهم، وذلك أنه بعد مقدمه المدينة كتب بينه وبينهم كتاباً، وصالحهم فيه على ألا

(١) المسند ٩/ ٩٣١ تحقيق أحمد شاكر وقال «إسناده صحيح»
(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ١٤١

يهاجروا، وأن يتركوا على أمرهم، وكان ابن صياد منهم، أو دخيلاً في جملتهم، وكان يبلغ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خبره، وما يدعيه من الكهانة، ويتعاطاه من الغيب، فامتحنوه بذلك، ليروا آية أمره؛ فلما كلمه علم أنه معطل، وأنه من جملة السحرة، والكهنة يأتيه رييب من الجِنَّة، أو يتعاهده شيطان فيلقي على لسانه بعض ما يتكلم به.

فلما سمع منه قوله الدخ زجره، وقال: «**اخسأ، ولن تعدو قدرك**».

يريد أن ذلك شيء ألقاه إليه الشيطان، وأجراه على لسانه، وليس ذلك من قِبَل الوحي؛ إذ لم يكن له قدر الأنبياء الذين يوحى إليهم علم الغيب، ولا درجة الأولياء الذين يلهمون العلم، ويصيبون بنور قلوبهم الحق، وإنما كانت له تارات يصيب في بعضها، ويخطئ في بعض.

وذلك معنى قوله: «يأتيني صادق وكاذب».

فقال له عند ذلك «**خلط عليك**».[1]

د – هل ابن صياد هو الدجال الذي يخرج في آخر الزمان؟: والجواب أن العلماء من الصحابة ومَن بعد هم قد اختلفوا في أمره اختلافاً كثيراً، فمنهم من قال: إنه الدجال، ومنهم من قال: إنه من جملة الكهنة والممخرقين الكذابين.[2]

---

(١) التذكرة ص ٧٧٨.

(٢) انظر أشراط الساعة ص ٢٩٨-٣٠٤.

ولعل الصواب ـ والله أعلم ـ أنه ليس الدجال الأكبر، وإنما هو من جملة الدجاجلة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في معرض حديث له عن الأحوال الشيطانية: قال: «مثل حال عبدالله بن صياد الذي ظهر في زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان قد ظن بعض الصحابة أنه الدجال، وتوقف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أمره، حتى تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجال، لكنه من جنس الكهان.

قال له النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **«قد خبأت لك خبيئاً»**.

قال: الدخ الدخ، وقد كان خبأ له سورة الدخان.

فقال له النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **«اخسأ فلن تعدو قدرك»**.

يعني إنما أنت من إخوان الكهانِ، والكهانُ كان يكون لأحدهم القرينُ من الشياطين يخبره بكثير من المغيبات بما يَسْتَرِقُه من السمع، وكانوا يخلطون الصدق بالكذب». (١)

وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «والمقصود أن ابن صياد ليس بالدجال الذي يخرج في آخر الزمان قطعاً». (٢)

* * *

(١) الفرقان لابن تيمية ص١٢٨-١٢٩.

(٢) النهاية ـ الفتن والملاحم ـ ١/ ٧٠.

ثالثاً: نزول عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ

مر بنا أن من أشراط الساعة الكبرى نزول عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ والحديث في هذا الشأن سيتناول الجوانب التالية:

أ - عقيدة المسلمين في عيسى ـ عليه السلام ـ: عقيدة المسلمين في عيسى تتلخص فيما يلي:

* أنه عبدالله، ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه.
* وأنه ولد من غير أب كما خلق آدم من غير أب ولا أم.
* وأنه أحد أولي العزم من الرسل.
* وأنه عبد ليس له من خصائص الربوبية، ولا الألوهية شيء.
* وأن الله قد أظهر على يديه المعجزات والآيات كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه، وأنه كلم الناس في المهد صبياً.
* وأنه دعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له.
* وأنه بَشَّر بنبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ.
* وأنه ليس بينه وبين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبي.
* وأنه لم يصلب، ولم يقتل، بل رفعه الله إليه.
* وأنه ينزل في آخر الزمان كما سيأتي تفصيل ذلك.
* وأنه يموت في الأرض ويدفن فيها، ويبعث منها كسائر بني آدم.

ب- صفة عيسى ـ عليه السلام ـ: صفته التي جاءت بها الروايات أنه رجل مربوع القامة، ليس بالطويل ولا بالقصير، أحمر، جعد الرأس،

عريض الصدر، سبط الشعر، كأنما خرج من ديماس - أي حمام - له لِمَّةٌ قد رجَّلها تملأ ما بين منكبيه.[١]

ج- سبب تسميته بالمسيح: اختلف في ذلك على ثلاثة وعشرين قولاً، وقد مضى ذكر - شئ منها عند الحديث عن المسيح الدجال.

ومما قيل في سبب تسمية عيسى - عليه السلام - بالمسيح أنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا برئ، ولا ميتاً إلا حيي.

وقيل المسيح: الصدِّيق، وقيل إن أصل الكلمة (هاما شيحا) فعُرِّبت إلى (مسيًّا) وكذلك تنطق به اليهود.

وقيل: لأنه خرج من بطن أمه كأنه ممسوح بالدهن

وقيل: لأنه مسح عند ولادته بالدهن

وقيل: لحسن وجهه؛ إذ المسيح في اللغة: الجميل الوجه، يقال: على وجهه مسحة من جمال.

وقيل: لأنه يمسح الأرض، أي يقطعها، سمي عيسى بذلك؛ لأنه كان تارة بالشام، وتارة بمصر، وتارة على سواحل البحر، وفي المهامه.[٢]

د- تواتر الأخبار في نزوله: يستخلص من النصوص الواردة في شأن عيسى - عليه السلام - أنه نازل لا محالة، وأن النصوص بذلك متواترة؛ فالتكذيب بنزوله تكذيب للرسول - صلى الله عليه وسلم -.

---

(١) انظر صحيح البخاري (٣٤٣٧ و ٣٤٣٨) ، ومسلم (١٦٨).

(٢) انظر التذكرة للقرطبي ص٧٦٦-٧٦٩.

بل هو تكذيب للقرآن الكريم الذي دل على نزول عيسى ـ عليه السلام ـ [١].

ولقد مضى شيء من الأدلة على نزوله، ومنها قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ [الزخرف: ٥٧] إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [الزخرف: ٦١].

أي نزول عيسى ـ عليه السلام ـ قبل يوم القيامة علامة على قرب الساعة.

ويدل على ذلك القراءة الأخرى (وإنه لَعَلَمٌ للساعة): بفتح العين واللام.

«أي علامة وأمارة على قيام الساعة.

وهذه القراءة مروية عن ابن عباس، ومجاهد، وغيرهما من أئمة التفسير» [٢].

وروى الإمام أحمد بسنده إلى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تفسير هذه الآية «وإنه لعلم للساعة» قال: «هو خروج عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ قبل يوم القيامة» [٣].

---

(١) انظر القيامة الصغرى ص٢٦٦-٢٦٨، وأشراط الساعة للوابل ص ٣٤٨-٣٥٥.

(٢) تفسير القرطبي ١٦/ ١٠٥، وانظر تفسير الطبري ٢٥/ ٩٠-٩١.

(٣) المسند ٤/ ٣٢٩ تحقيق أحمد شاكر وقال: «إسناده صحيح».

ومن السنة ما رواه الشيخان عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها**» ثم يقول أبو هريرة: «اقرؤوا إن شئتم: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٩]. [(١)]

وهذا تفسير من أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ لهذه الآية بأن المراد بها أن من أهل الكتاب من سيؤمن بعيسى ـ عليه السلام ـ قبل موته، وذلك عند نزوله في آخر الزمان كما سبق بيانه. [(٢)]

هـ - صفة نزوله: بعد خروج الدجال، وإفساده في الأرض يبعث الله عيسى ـ عليه السلام ـ فينزل إلى الأرض، ويكون نزوله عند المنارة البيضاء شرقي دمشق الشام وعليه مهرودتان[(٣)]، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدَّر منه جمانٌ كاللؤلؤ، ولا يحل لكافر يجد ريح نَفَسه إلا مات، ونَفَسُه ينتهي حيث ينتهي طَرْفُه.

ويكون نزوله على الطائفة المنصورة التي تقاتل على الحق، وتكون

---

(١) البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (١١٥ و ٢٩٣٧).

(٢) انظر أشراط الساعة للوابل ٣٤٧.

(٣) مهرودتان: أي ثوبين مصبوغينِ بورس، ثم زعفران. انظر شرح النووي لمسلم ١٨/ ٦٧.

مجتمعة لقتال الدجال؛ فينزل وقت إقامة صلاة الفجر، ويصلي خلف أمير تلك الطائفة، بعد أن يقال له: تعال صل لنا، فيقول ـ عليه السلام ـ: «**لا؛ إن بعضكم على بعض أمراء؛ تكْرِمة الله هذه الأمة**».[(١)]

و - **الحكمة من نزول ـ عيسى ـ عليه السلام ـ دون غيره**: لقد تلمس بعض العلماء حكمة ذلك، ومن الأوجه التي قيلت ما يلي:[(٢)]

١- **الرد على اليهود**: فهم يزعمون أنهم قتلوه، وصلبوه ـ عليه السلام ـ فبين الله ـ عزوجل ـ لهم ولغيرهم من المنافقين أنه هو الذي يقتلهم، ويقتل رئيسهم، وكبيرهم الدجال الذي يدعي الربوبية.

٢- **أن إنزاله؛ لدنو أجله؛ ليدفن في الأرض**: إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في السماء، لكنَّ أَمْرَهُ يجري على ما قاله الله ـ تعالى ـ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥].

فالله ـ عزوجل ـ ينزله من السماء إلى الأرض مدة يراه فيها من يقرب منه، ويسمع به من نأى عنه، ثم يقبضه، ويتولى المؤمنون أمره، ويُصَلُّون عليه، ويدفن حيث دفن الأنبياء الذين أُمُّه مريم من نسلهم في الأرض المقدسة، فينشر إذا نشر معهم؛ فهذا سبب إنزاله غير أنه يتفق في تلك الأيام خروج الدجال، وفتنته للناس، دون أن ينتصب أحد لقتاله، فيكون هو أحق بالتوجه إليه، ويجري قتله على يديه؛ إذ كان ممن اصطفاه الله لرسالته، وأنزل عليه

---

(١) انظر صحيح البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥).

(٢) انظر التذكرة ص٧٦٤-٧٦٥، وأشراط الساعة ص٣٥٥-٣٥٧

كتابه، وجعله وأمه آية؛ فعلى هذا الوجه يكون الأمر بإنزاله لا أنه ينزل لقتال الدجال قصداً.

٣- **أن عيسى ـ عليه السلام ـ وجد فضل أمة محمد في الإنجيل** كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ** ﴾ [الفتح: ٢٩].

فدعا الله ـ عزوجل ـ أن يجعله من أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاستجاب الله ـ تعالى ـ دعاءه، ورفعه إلى السماء إلى أن ينزله آخر الزمان مجدداً لما درس من دين الإسلام، فوافق خروج الدجال فقتله.

٤- **أنه ينزل مكذبا للنصارى**: فيظهر زيفهم في دعواهم الأباطيل، ويهلك الله الملل في زمنه إلا الإسلام؛ فإنه يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية.

٥- **أن خصوصيته بذلك لقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة»**[١]: فرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخص الناس به، وأقربهم إليه؛ فإن عيسى بشَّر به، ودعا الخلق إلى تصديقه؛ فلا غرو أن ينال هذه الخصوصية ويكون من أمته.

ز - **لطيفة بديعة، وهي أن عيسى صحابي ونبـي**: قال الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ: «عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ صحابي، ونبي؛ فإنه

---

(١) رواه البخاري (٣٤٤٣).

رأى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة الإسراء، وسلم عليه؛ فهو آخر الصحابة موتا» .[١]

ح- **قتله للدجال:** مر عند الحديث عن الدجال أن عيسى ـ عليه السلام ـ يقتل الدجال، فتكون نهاية الدجال على يد عيسى ـ عليه السلام ـ.

ط- **حكمه بالقسط بشريعة الإسلام:** بعد أن يقضي عيسى على الدجال وفتنته، ويخرج يأجوج ومأجوج ـ كما سيأتي بيانه ـ فيفسدون في الأرض إفساداً، فيدعو ربه، فيستجيب له، ويصبحون موتى لا يبقى منهم أحد، بعد ذلك يتفرغ عيسى ـ عليه السلام ـ للمهمة الكبرى التي أنزل من أجلها، وهي تحكيم شريعة الإسلام ـ كما جاء في أحاديث ماضية ـ.

فعيسى ـ عليه السلام ـ سوف يحكم بالشريعة المحمدية، ويكون من أتباع محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلن ينزل بشرع جديد؛ لأن دين الإسلام خاتم الأديان.

وهو عام لجميع الخلق، باقٍ إلى قيام الساعة لا ينسخ؛ فيكون عيسى ـ عليه السلام ـ حاكماً من حكام هذه الأمة، ومجدداً لأمر الإسلام؛ إذ لا نبي بعد محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

وإذا نزل عيسى حكم بالقسط، وكسر الصليب ـ وهو رمز النصرانية المحرفة ـ وقَتَل الخنزير الذي حَرَّمه الإسلام، ووضع الجزية؛ فلا يقبل من اليهود والنصارى والكفار عموماً إلا الإسلام.

---

(١) تجريد أسماء الصحابة للذهبي ١/ ٤٣٢.

وعدم قبول الجزية لا يُعَد نسخاً؛ فإن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخبر أن الجزية تقبل إلى أن ينزل عيسى، وبعد ذلك لا تقبل؛ فحكم الجزية ليس مستمراً إلى قيام الساعة، بل هو مقيد بما قبل عيسى ـ عليه السلام ـ

وليس عيسى هو الناسخ لها، بل نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو المبين للنسخ، وعيسى ـ عليه السلام ـ يحكم بشرعنا.[١]

يقول القرطبي ـ رحمه الله ـ : «فعيسى ـ عليه السلام ـ إنما ينزل مقرراً لهذه الشريعة، ومجدداً لها؛ إذ هي آخر الشرائع، ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ آخر الرسل؛ فينزل حكماً مقسطاً، وإذا صار حكماً فإنه سلطان يومئذ للمسلمين.

ولا إمام ولا قاضي ولا مفتي قد قبض الله ـ تعالى ـ العلم، وخلا الناس منه؛ فينزل وقد علم بأمر الله ـ تعالى ـ له من السماء قبل أن ينزل ما يحتاج إليه من علم هذه الشريعة للحكم به بين الناس، والعمل به في نفسه؛ فيجتمع المسلمون إليـه، ويحكِّمونه على أنفسهم؛ إذ لا أحد يصلح لذلك غيره؛ ولأن تعطيل الحكم غير جائز، وأيضا فإن بقاء الدنيا إنما يكون بمقتضى التكليف إلى أن لا يقال في الأرض: الله الله على ما يأتي، وهذا واضح»[٢].

---

(١) انظر شرح النووي لمسلم ٢/ ١٩٠، والقيامة الصغرى ٢٦٧، وأشراط الساعة ص ٣٥٨-٣٦١.

(٢) التذكرة ص ٧٦٤.

ي - حَجُّه ـ عليه السلام ـ: جاء في صحيح مسلم عن حنظلة الأسلمي قال: سمعت أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ يحدث عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**والذي نفسي بيده لَيُهِلَّنَّ ابن مريم بفج الروحاء**[١] **حاجاً أو معتمراً، أو ليثنينَّهما**»[٢].

أي يجمع بين الحج والعمرة.

ك - طيب العيش، وعموم الرخاء، وانتشار الأمن، وظهور البركات في عهده: فزمن عيسى ـ عليه السلام ـ زمن أمن وسلام ورخاء، وبركات.

حيث يرسل الله فيه المطر الغزير، وتُخرج الأرض ثمرتها وبركتها، ويفيض المال، وتزول الشحناء، والتباغض، والتحاسد.

جاء في حديث النواس بن سمعان الطويل: «**ثم يرسل الله مطراً لا يُكَنُّ منه بيت مدر، ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة**[٣]**، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، ورُدِّي بركتك، فيؤمئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بِقِحْفِها**[٤]**، ويبارك في الرِّسل**[٥] **حتى إن اللِّقحة**[٦] **من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة،**

(١) بفج الروحاء: موضع بين مكة والمدينة.
(٢) مسلم (١٢٥٢).
(٣) الزلفة، وروي الزلقة بالقاف: وكلها صحيحة، ومعناه أن الأرض تكون شبه المرآة لصفائها ونظافتها. انظر شرح النووي لمسلم ١٨/ ٦٩.
(٤) القِحف: مقعر قشرها.
(٥) الرِّسل: اللبن.
(٦) اللقحة: بكسر اللام، وفتحها، والكسر أشهر هي الناقة الحلوب.

واللقحة من الغنم لتكفي الفَخْذ[١] من الناس».[٢]

وورد أحاديث في هذا النحو كثيرة، والمجال لا يتسع لبسطها.[٣]

ل - مدة بقائه بعد نزوله: جاء في بعض الروايات أنه يمكث سبع سنين، وفي بعضها أربعين سنة؛ ففي رواية الإمام مسلم عن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما -: «**فيبعث الله عيسى بن مريم، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته**».[٤]

وفي رواية الإمام أحمد وأبي داود: «**فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون**».[٥]

وكلا هاتين الروايتين صحيحة، وهذا مشكل إلا أن تُحْمَل رواية السبع سنين على مدة إقامته بعد نزوله، ويكون ذلك مضافاً إلى مكثه في الأرض قبل رفعه إلى السماء، وكان عمره إذ ذاك ثلاثاً وثلاثين سنة على المشهور، والله أعلم.[٦]

---

(١) الفخْذ: الجماعة من الأقارب، وهم دون البطنِ، والبطنُ دون القبيلة.

(٢) رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٣) انظر أشراط الساعة ٣٦١-٣٦٣.

(٤) مسلم (٢٩٤٠).

(٥) مسند الإمام أحمد ٢/ ٤٠٦، بهامشه منتخب الكنز، قال ابن حجر: «صحيح»، ٦/ ٤٩٣، وسنن أبي داوود ١١/ ٤٥٦ مع عون المعبود.

(٦) انظر النهاية ـ الفتن والملاحم لابن كثير ١/ ١٤٦.

رابعاً: خروج يأجوج ومأجوج

فمما يدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بخروج يأجوج ومأجوج؛ فذلك من أشراط الساعة، وعلاماتها الكبرى.

والحديث في هذا الشأن سيتناول الجوانب التالية:

أ - التعريف اللغوي لـ: يأجوج ومأجوج: قيل: هما اسمان عربيان، وقيل: أعجميان، وقد قرأهما عاصم بالهمز، والباقون بغير همز.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: «وقرأ عاصم (يأجوج ومأجوج) بالهمزة فيهما وكذلك في الأنبياء على أنهما مشتقان من أجَّة الحر، وهي شدته، وتوقده، ومن أجيج النار، ومن قولهم ماج فيكونان عربيين من أجَّ ومجَّ، ولم يُصْرَفا؛ لأنهما جعلا اسمين؛ فهما مؤنثان معرفتان.

والباقون ـ أي باقي القراء ـ بغير همز جعلوها لقبيلتين أعجميتين، ولم يصرفا؛ للعجمة، والتعريف»[1].

ب- أصلهم: أصل يأجوج ومأجوج من البشر، ومن ذرية آدم وحواء.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ : «وهما أمتان من ولد يافث بن نوح، مدَّ الله لهما في العمر، وأكثر لهما في النسل حتى ما يموت الرجل من يأجوج ومأجوج حتى يولد له ألف ولد، فولد آدم كلهم عشرة أجزاء، يأجوج ومأجوج منهم تسعة أجزاء، وسائر ولده كلهم جزء واحد».[2]

---

(١) التذكرة ص٧٨٤.

(٢) التذكرة ص٧٨٢-٧٨٣.

ج - **الأدلة على أنهم من ذرية آدم**: جاء في صحيح البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: **«يقول الله ـ تعالى ـ : «يا آدم! فيقول لبيك وسعديك، والخير في يديك، فيقول: «أخرج بعث النار»**.

قال: وما بعث النار؟

قال: «من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين».

فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد».

قالوا: يا رسول الله! وأينا ذلك الواحد؟

قال: **«أبشروا؛ فإن منكم رجلاً، ومن يأجوج ومأجوج ألفاً»**[1].

وعن عبدالله بن عمرو عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **«أن يأجوج ومأجوج من ولد آدم، وأنهم لو أرسلوا إلى الناس لأفسدوا عليهم معايشهم، ولن يموت منهم أحد إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً»**[2].

د - **صفتهم**: أما صفتهم التي جاءت بها الأحاديث فهي أنهم يشبهون أبناء جنسهم من الترك الغتم[3] المغول، صغار العيون، ذلف الأنوف، صهب الشعور، عراض الوجوه، كأن وجوههم المَجَانُّ المُطْرَقة على

---

(١) البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢).

(٢) منحة المعبود ٢/ ٢١٩ وروى الحاكم طرفاً منه ٤/ ٤٩٠، وقال: «هذه حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي».

(٣) الغتم: العجم.

أشكال الترك وألوانهم.[1]

والذي تدل عليه الروايات الصحيحة أنهم رجال أقوياء لا طاقة لأحد بقتالهم، ففي حديث النواس بن سمعان في صحيح مسلم أن الله ـ تعالى ـ يوحي إلى عيسى ـ عليه السلام ـ بخروج يأجوج ومأجوج، وأنه لا يدان لأحد بقتالهم، ويأمره بإبعاد المؤمنين من طريقهم ويقول: «**أحرز عبادي إلى الطور**».[2]

وقد وردت آثار وروايات ضعيفة في وصفهم.

ومما جاء في تلك الآثار أنهم أصناف ثلاثة:

١- صنف أجسادهم كالأرز وهو شجر كبار جداً.

٢- وصنف أربعة أذرع في أربعة أذرع.

٣- وصنف يفترشون آذانهم، ويلتحفون بالأخرى.

وجاء ـ أيضاً ـ أن طولهم شبران، وأطولهم ثلاثة أشبار.

وجاء ـ أيضاً ـ أنهم يأكلون جميع حشرات الأرض من الحيات والعقارب، وكل ذي روح مما خلق الله في الأرض، وأنه ليس لله خلق ينمي كنمائهم في العام الواحد، ولا يزداد كزيادتهم، ولا يكثر ككثرتهم، يتداعون تداعي الحمام، ويعوون عواء الكلاب، ويتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا.

---

(١) انظر مسند الإمام أحمد ٥/ ٢٧١ بهامشه منتخب الكنز.

(٢) مضى تخريجه.

وأن منهم من له قرن، وذنب، وأنياب بارزة يأكلون اللحوم نيئة.

إلى غير ذلك مما قيل.[١]

هـ - فسادهم: إذا خرج يأجوج ومأجوج حصل على أيديهم أذى كبير، وفتنة عظمى، وشر مستطير.

وهم جموع كثيرة حتى إنهم؛ لكثرتهم إذا مر أولهم على بحيرة طبرية عند خروجهم شربوا الماء الذي فيها جَميعَه؛ فإذا مر آخرهم قالوا قد كان في هذه البحيرة ماء.[٢]

قال ابن العربي ـ رحمه الله ـ: «وأما خروج يأجوج ومأجوج فإنه يكون بعد نزول عيسى ـ عليه السلام ـ وهما أمتان مُضرَّتان مفسدتان كافرتان».[٣]

هذا وسيتضح شيء من إفسادهم في الفقرات التالية:

و - أدلة خروجهم من القران: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٦، ٩٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ

---

(١) انظر التذكرة ص٧٨٢-٧٨٣، وفتح الباري ١٠٧/٣١، وأشراط الساعة ص٣٦٨ـ٣٦٩.

(٢) انظر الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في العقيدة ص٢٥٣-٢٥٤.

(٣) عارضة الأحوذي لابن العربي ٩/ ٣٤.

يَفْقَهُونَ قَوْلاً ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٣ - ٩٩].

فهذان الموضعان من كتاب الله فيهما دلالة واضحة على خروج يأجوج ومأجوج قبل يوم القيامة، وأن خروجهم أحد علامات الساعة التي تكون قبل قيامها.

فهذه الآيات تدل على أن الله سخر ذا القرنين[1] الملك الصالح لبناء السد العظيم؛ ليحجز بين يأجوج ومأجوج وبين الناس؛ فإذا جاء

---

(١) ذو القرنين: اختلف في اسمه؛ فروي عن ابن عباس أن اسمه عبدالله بن الضحاك بن معد، وقيل: مصعب بن عبدالله بن قنان من الأزد ثم من قحطان، وقيل غير ذلك وسمي بذي القرنين لأنه بلغ المشارق والمغارب من حيث يطلع قرن الشيطان ويغرب، وقيل: لأنه ملكها وقيل: رأى في منامه أن أخذ بقرني الشمس وقيل: كان له قرنان أي صغيرتان، وقيل: لأنه عمر حتى فني في زمنه قرنان من الناس وكان عبداً صالحاً مؤمناً، وهو غير ذي القرنين الاسكندر المقدوني المصري؛ فإن هذا كان كافراً وهو متأخر عن المذكور في القرآن، وبينهما أكثر من ألفي سنة. انظر البداية والنهاية ٢/ ١٠٢-١٠٦، وتفسير ابن كثير ٣/ ٩٨-٩٩، وفتح الباري ٦/ ٣٨٢-٣٨٦.

الوقت المعلوم، واقتربت الساعة اندك السد، وخرج يأجوج ومأجوج بسرعة عظيمة، وجمع كبير لا يقف أمامه أحد من البشر، فماجُوا في الناس، وعاثوا في الأرض فساداً.

وهذا علامة على قرب النفخ في الصور، وخراب الدنيا، وقيام الساعة، كما سيأتي بيان ذلك في الأحاديث الثابتة.[1]

ز - أدلة خروجهم من السنة: الأحاديث الدالة على خروج يأجوج ومأجوج تبلغ حد التواتر المعنوي، وقد سبق ذكر لبعضها.

ومن ذلك ما جاء في الصحيحين عن أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب بنت جحش ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ دخل عليها فزعاً يقول: «**لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**» وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها.

قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟

قال: «**نعم إذا كثر الخبث**».[2]

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/٩٨-١٠١، والتذكرة ص٧٨٣، وأشراط الساعة ٣٧٠-٣٧١.

(٢) البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠).

ح- هلاكهم: يكون هلاك يأجوج ومأجوج بعد أن يقتل عيسى الدجالَ حيث يُهلك الله يأجوج ومأجوج ببركة دعاء عيسى ـ عليه السلام ـ كما جاء في حديث النواس بن سمعان الطويل، وفيه: «**إذ أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرِّز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرةً ماء، ويُحْصَرَ نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم؛ فيرغب نبي الله عيسى وأصحابهُ، فيرسل الله عليهم النغف[1] في رقابهم فيصبحون فرسى[2] كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم[3] ونتنهم؛ فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت[4]، فتحملهم، فتطرحهم حيث شاء الله**»

رواه مسلم، وزاد في رواية بعد قوله: «لقد كان بهذه ماء»: «ثم

---

(١) النَّغَف: جمع نَغَفَة، وهي الدود الذي يكون في أنوف الإبل والغنم.

(٢) فرسى: أي هلكى، وهو جمع فريس يعني مفروس مثل قتيل وقتلى وصريع وصرعى، وأصله من فَرس الذئب الشاة، وأفرسها أي قتلها؛ كأن تلك النغف فرستهم.

(٣) زهمهم: الزهم النتن.

(٤) البخت: إبل غلاظ الأعناق، عظام الأجسام. انظر التذكرة ص٧٧٢-٧٧٣.

يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر[١]، هو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، هلم فلنقتل من في السماء، فيرمون بِنُشَّابهم[٢] إلى السماء، فيرد الله عليهم نُشَّابهم مخضوبة دماً» .[٣]

* * *

---

(١) جبل الخمر: الخمر: الشجر الملتف الذي يستر من فيه. انظر شرح النووي لمسلم ١٨/ ٧١.

(٢) النشاب: يطلق على النبل والسهام وواحدته: نشابة.

(٣) رواه مسلم (٢٩٣٧).

خامساً: الخسوف

والخسف هو الذهاب في الأرض يقال: خسف المكان يخسف خسوفاً إذا ذهب في الأرض وغاب فيها.

ومن أشراط الساعة الكبرى خسوفات ثلاثة.

جاء في حديث حذيفة بن أسيد في صحيح مسلم أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال ـ: «**إن الساعة لن تقوم حتى تروا عشر آيات**» فذكر منها: «**وثلاثة خسوف خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب**».(١)

* **هل وقعت هذه الخسوفات؟**: هذه الخسوفات لم تقع بعد كغيرها من الأشراط الكبرى التي لم يظهر منها شئ، وإن كان بعض العلماء يرى أنها قد وقعت.

ولكن الصحيح أنها لم تقع.(٢)

* * *

(١) مسلم (٢٩٠١).

(٢) انظر أشراط الساعة ص٣٨٢.

المبحث الثالث

أشراط الساعة الكبرى الدالة على حصولها

أولاً: الدخــان:

فظهور الدخان في آخر الزمان من علامات الساعة الكبرى التي دل عليها الكتاب والسنة.(١)

*** أدلة ظهوره من الكتاب والسنة:**

أ - أدلة ظهوره من الكتاب: قال الله - تعالى -: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١٠، ١١].

وللعلماء في المراد بهذا الدخان قولان:

أحدهما: أن هذا الدخان هو ما أصاب قريشاً من الشدة والجوع عندما دعا عليهم النبي - صلى الله عليه وسلم - حين لم يستجيبوا له؛ فأصبحوا يرون في السماء كهيئة الدخان.

وإلى هذا القول ذهب ابن مسعود - رضي الله عنه - وتبعه جماعة من السلف.(٢)

الثاني: أن هذا الدخان من الآيات المنتظرة التي لم تجيء بعد، وسيقع قرب قيام الساعة.

---

(١) انظر أشراط الساعة ص٣٨٣ - ٣٨٩.

(٢) انظر تفسير الطبري ١١١/٥٢ - ١١٣، تفسير القرطبي ١٦/ ١٣١، وتفسير ابن كثير ٤/ ١٤٠-١٤٣.

وإلى هذا القول ذهب ابن عباس وبعض الصحابة والتابعين.[١]

ب - **أدلة ظهوره من السنة**: مضى ذكر بعض الأحاديث في ذلك، ومنها ما جاء صحيح مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «**بادروا بالأعمال ستاً: الدجال، والدخان**» الحديث.[٢]

وجاء في حديث حذيفة في أشراط الساعة الكبرى: «**والدخان**».[٣]

* * *

(١) انظر تفسير الطبري ٥٢/١١٣، وتفسير ابن كثير ٤/ ١٤٠-١٤٣.

(٢) مسلم (٢٩٤٧).

(٣) مضى تخريجه.

ثانياً: طلوع الشمس من مغربها

فطلوع الشمس من مغربها من علامات الساعة الكبرى، وهو ثابت بالكتاب والسنة.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

فقد دلت الأحاديث الصحيحة أن المراد ببعض الآيات المذكورة في الآية طلوع الشمس من مغربها، وهو قول أكثر المفسرين.(١)

وجاء في الصحيحين عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت، فرآها الناس آمنوا أجمعون؛ فذاك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً**».(٢)

وروى مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها**» الحديث.(٣)

---

(١) انظر تفسير الطبري ٨/ ٩٦-١٠٢، والتذكرة للقرطبي ص٧٩٢-٧٩٣، وتفسير ابن كثير ٢/ ١٨٤-١٨٦.

(٢) البخاري (٤٦٣٥ و ٤٦٣٦ و ٦٥٠٦ و ٧١٢١) ومسلم (١٥٧).

(٣) مسلم (٢٩٤٧).

❋ ما العلة من كون الإيمان لا ينفع إذا طلعت الشمس من مغربها؟:

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: «قال العلماء: وإنما لا ينفع نفساً إيمانها عند طلوعها من مغربها؛ لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة من شهوات النفس، وتفتر كل قوة من قوى البدن، فيصير الناس كلهم؛ لإيقانهم بدنو القيامة في حال من حضره الموت من انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم، وبطلانها من أبدانهم؛ فمن تاب في مثل هذه الحال لم تقبل توبته كما لا تقبل توبة من حضره الموت».[1]

❋ ❋ ❋

---

(١) التذكرة ص٧٩٤.

ثالثاً: الدابــة

ظهور دابة الأرض في آخر الزمان من أشراط الساعة الكبرى الثابتة بالكتاب والسنة.

أ – الأدلة من الكتاب: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

فهذه الآية الكريمة صرحت بخروج الدبة، وأن ذلك يكون عند فساد الناس، وتركهم أوامر الله، وتبديلهم الدين الحق، فيخرج الله لهم دابة من الأرض تكلمهم على ذلك.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: «قال العلماء معنى **«وقع القول عليهم»**: أي وجب الوعيد عليهم؛ لتماديهم في العصيان والعقوق والطغيان، وإعراضهم عن آيات الله، وتركهم تدبرها، والنزول على حكمها، وانتهى بهم في المعاصي إلى ما لا ينجع معه موعظة، ولا يصرفهم عن غيهم تذكرة.

يقول ـ عز من قائل ـ فإذا صاروا كذلك: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ أي دابة تعقل، وتنطق.

وذلك ـ والله أعلم ـ ليقع لهم العلم بأنه آية من قبل الله ـ تعالى ـ ضرورة؛ فإن الدواب في العادة لا كلام لها ولا عقل». [١]

---

(١) التذكرة ص٧٨٥.

ب – **وأما الأدلة من السنة فكثيرة،** وقد مضى شيء منها، ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحة عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **«ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أوكسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض»**.[(١)]

وروى الإمام أحمد عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ يرفعه إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال ـ: **«تخرج الدابة، فَتَسِمِ الناس على خراطيمهم،[(٢)] ثم يُغمرون فيكم، حتى يشتري الرجل البعير، فيقول: ممن اشتريته؟ فيقول من أحد المخطيين»**.[(٣)]

* **مكان خروج الدابة:** قيل: في مكة من أعظم المساجد، وقيل: لها ثلاث خرجات، فمرة تخرج في بعض البوادي، مرة في بعض القرى، ثم تظهر في المسجد الحرام.

وهناك أقوال أخرى غالبها يدور على أن خروجها من الحرم المكي.[(٤)]

---

(١) مسلم (١٥٨).

(٢) الخرطوم: الأنف وقيل: مقدم الأنف.

(٣) مسند الإمام أحمد ٥/٢٦٨ بهامش منتخب الكنز، وقال الهيثمي في المجمع ٨/٦ بـ «ورجاله رجال الصحيح غير عمر بن عبدالرحمن بن عطية وهو ثقة». وقال الألباني في الصحيحة (٣٢٢): (صحيح).

(٢) انظر أشراط الساعة ص٤١٣-٤١٥.

ج- **عمل الدابة:** إذا خرجت الدابة العظيمة فإنها تسم المؤمن والكافر.

فأما المؤمن؛ فإنها تجلو وجهه حتى يشرق، ويكون ذلك علامة إيمانه.

وأما الكافر فإنها تخطمه على أنفه؛ علامة على كفره. [١]

* * *

---

(١) انظر أشراط الساعة ص٤١٥-٤١٦.

رابعاً: النار التي تحشر الناس

فمن أشراط الساعة الكبرى خروج النار العظيمة، وهي آخر أشراط الساعة، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة.

أ - مكان خروجها: جاءت الروايات بأن خروجها يكون من اليمن من قعرة عدن، وتخرج من بحر حضرموت كما جاء في روايات أخرى

جاء في حديث حذيفة بن أسيد في صحيح مسلم في ذكر أشراط الساعة قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**».

وفي رواية لمسلم عن حذيفة ـ أيضا ـ: «**ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس**».[١]

ب- كيفية حشرها: عند ظهور هذه النار العظيمة من اليمن تنتشر في الأرض، وتسوق الناس إلى أرض المحشر، والذين يحشرون على ثلاثة أفواج:

الأول: فوج راغبون، طاعمون، كاسون، راكبون.

الثاني: فوج يمشون تارة، ويركبون أخرى، يعتقبون على البعير الواحد.

الثالث: تحشرهم النار، فتحيط بهم من ورائهم، وتسوقهم من كل جانب إلى أرض المحشر، ومن تخلف أكلته النار.

---

(١) سبق تخريجه

وقد صحت بذلك الأحاديث.[١]

ج- **أرض المحشر:** يحشر الناس إلى الشام في أخر الزمان، وهي أرض المحشر، كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة.[٢]

د- **هذا الحشر في الدنيا:** وليس المراد به حشر الناس بعد البعث من القبور.[٣]

* * *

(١) انظر النهاية ،الفتن والملاحم ١/ ٢٣٠-٢٣١، وأشراط الساعة ص٤٢٠.

(٢) انظر أشراط الساعة ص٤٢٢.

(٣) انظر أشراط الساعة ص ٤٢٦-٤٣٠.

الفصل الثالث
من أحوال القيامة وأخبارها

المبحث الأول: النفخ في الصور

المبحث الثاني: البعـــث

المبحث الثالث: القيامة: الحساب والميزان ونشر كتب الأعمال

المبحث الرابع: الحوض والصراط

المبحث الخامس: الجنــة والنـــار



الفصل الثالث
من أحوال القيامة وأخبارها
المبحث الأول

النفخ في الصور

أولاً: تعريفـــه:

أ - **تعريف النفخ في اللغة**: النفخ في اللغة معروف، يقال: نفخ بفمه ينفخ نفخـاً إذا أخرج منه الريح، ومنه نفخ النار، والنفـخ فـي الشراب، وغير ذلك.(١)

ب - **تعريف الصور**: الصور في اللغة يطلق على عدة معان، ومنها القرن، وبه فسر المفسرون قوله ـ تعالـى ـ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [الكهف: ٩٩].(٢)

ج- **النافخ في الصور**: هو إسرافيل أحد الملائكة الكرام الذين يحملون العرش.

د - **تعريف النفخ في الصور في الشرع**: هو نفخ إسرافيل في القرن الذي التقمه ووكل إليه النفخ فيه وقت قيام الساعة.(٣)

---

(١) انظر لسان العرب ٣/ ٦٢-٦٤.

(٢) انظر لسان العرب ٤/ ٤٧٤.

(٣) انظر القيامة الكبرى د. عمر الأشقر ص ٣١-٣٦.

ثانياً: الأدلة على النفخ في الصور:

دل على النفخ في الصور الكتاب والسنة والإجماع:

أ - **الأدلة من القرآن على النفخ:** قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨].

وقال ـ عز وجل ـ: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ﴾ [النمل: ٨٧].

وقال: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ [يس: ٥١].

ب - **الأدلة من السنة:** جاء في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **«ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى**[١] **لِيتاً ورفع ليتاً، ثم لا يبقى أحد إلا صعق، ثم ينزل الله مطراً كأنه الطل أو الظل** (شك الراوي) **فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون»**.[٢]

---

(١) اللِّيت: صفحة العنق، وإصغاؤه: إمالته.

(٢) مسلم (٢٩٤).

ثالثاً: عدد النفخات:

عدد النفخات التي ينفخ فيها إسرافيل في الصور نفختان:

أ - **نفخة الصعق**: وهي النفخة التي ينفخ فيه فيفزع الناس، ويصعقون؛ ذلك أن الله ـ عز وجل ـ إذا أذن بانقضاء هذه الدنيا أمر إسرافيل ـ عليه السلام ـ أن ينفخ في الصور فيصعق كل من في السموات والأرض إلا من شاء الله، وتصبح الأرض صعيداً جرزًا، والجبال كثيباً مهيلاً، ويحدث كل ما أخبر الله في كتابه، لاسيما في سورة الانفطار والتكوير.

وتسمى هذه النفخة نفخة الصعق، ونفخة الفزع، وتسمى بالراجفة، وتسمى بالصيحة.

ب - **نفخة البعث**: وهي النفخة التي يقوم الناس فيها من الأجـداث أحياءً لرب العالمين.

وتسمى هذه النفخة بالأخرى، وتسمى بالرادفة.

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن النفخات ثلاث هي:

أ ـ نفخة الفزع بدون الصعق.

ب ـ نفخة الصعق.

ج ـ نفخة البعث والقيام لرب العالمين.

فمن فسر الفزع بالصعق فهما اثنتان عنده، ومن فسر الفزع بغير الصعق فهي ثلاث.[1]

* * *

(١) انظر مجموع الفتاوى ٤/ ٤٦٠، وشرح الواسطية للهراس ص ٢٠٥-٢٠٦، ولمعة الاعتقاد شرح الشيخ محمد بن عثيمين ١١٤-١١٥ ، وأعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص ١٠٤-١٠٥، والقيامة الكبرى ص ٣٩-٤٢.

المبحث الثاني

البعـــث

يقول الإمام الطحاوي: «ونؤمن بالبعث»[١].

أولاً تعريف البعث:

أ - تعريف البعث في اللغة: هو الإرسال، والنشر، والتحريك، ونحو ذلك من المعاني.[٢]

ب - البعث في الشرع: هو المعاد الجسماني، وإحياء الأموات يوم القيامة؛ لحسابهم والقضاء بينهم.[٣]

ثانياً: أدلة ثبوته:

الإيمان بالبعث دل عليه الكتاب والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة السليمة، وهو مقتضى الحكمة؛ حيث تقتضي أن يجعل الله لهذه الخليقة معاداً يجازيهم فيه على ما كلَّفهم به على ألسنة رسله.[٤]

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠٤.

(٢) انظر لسان العرب

(٣) انظر لمعة الاعتقاد شرح الشيخ محمد بن عثيمين ص ١١٥ والقيامة الكبرى ص ٥١.

(٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠٤ ، ورسائل في العقيدة ص ٢٩، وأعلام السنة المنشورة ص ١٠١-١٠٣.

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وقال ـ عز و جل ـ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ⑮ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥, ١٦].

وقال ـ عز وجل ـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الحج: ٥].

وقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ⑥ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٦ ، ٧].

وقال النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**يحشر الناس يوم القيامة حفاة غرلاً**» متفق عليه.[1]

والأدلة على البعث والنشور لا تكاد تحصى وسيأتي مزيد بيان لذلك في الفقرة التالية.

ثالثاً: أدلة إمكان البعث:

أدلة إمكان البعث ثابتة بالكتاب والسنة والعقل والحس، وقد مر شيء من ذلك، وإليك البسط في هذه المسألة:

أ – **دليل إمكان البعث في السمع**: والمقصود بالسمع الأدلة من الكتاب والسنة.

---

(١) البخاري (٣٣٤٩) ومسلم (٢٨٦٠)

قال ـ تعالى ـ: ﴿زَعَمَ الذينَ كَفَرُوا أن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

فانظر كيف أكدت الآية بمؤكدات، حيث أكدت بقوله ـ عز وجل ـ (بَلَى) وبالقسم، وباللام، وبنون التوكيد.

والأدلة على ذلك كثيرة جداً.

ب - **دليل إمكان البعث بالحس**[1]: أما إمكان البعث بالحس فقد أرى الله عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا، وفي سورة البقرة وحدها خمسة أمثلة على ذلك.

* **المثال الأول**: قوم موسى ـ عليه السلام ـ حين قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] أماتهم الله ثم أحياهم.

* **المثال الثاني**: في قصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل زمن موسى ـ عليه السلام ـ فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة، فيضربوه ببعضها؛ ليخبرهم بمن قتله، ففعلوا فأحياه الله وأخبرهم بمن قتله.

* **المثال الثالث**: في قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم فرارًا من الموت، وهم ألوف فأماتهم الله، ثم أحياهم.

* **المثال الرابع**: في قصة الذي مر على قرية ميتة، فاستبعد أن يحييها الله ـ تعالى ـ فأماته الله مائة عامٍ ثم أحياه.

* **المثال الخامس**: في قصة إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ حين سأل الله ـ تعالى ـ أن يريه كيف يحيي الموتى، فأمره الله أن يذبح أربعة

---

(١) انظر رسائل في العقيدة ص ٣٢-٣٣.

من الطير، ويفرقهن أجزاءً على الجبال التي حوله، ثم يناديهن، فتلتئم الأجزاء بعضها إلى بعض، ويأتين إلى إبراهيم سعيًا.

ج- دليل إمكان البعث بالعقل[1]: أما دلالة العقل على إمكان البعث فمن وجهين:

أحدهما: أن الله فاطر السموات والأرض ابتـداءً، والقادر على ابتداء الخلق لا يعجز عن إعادته.

قال ـ تعالى ـ : **﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** [الروم: ٢٧].

وقال ـ تعالى ـ: **﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾** [الأنبياء: ١٠٤].

وقال آمراً بالرد على من أنكر إحياء العظام وهي رميم: **﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾** [يس: ٧٩].

الثاني: إحياء الأرض الميتة: فالأرض تكون ميتة هامدة ليس فيها عود أخضر، فينزل عليها المطر، فتهتز خضراء حية فيها من كل زوج بهيج.

والقادر على إحيائها بعد موتها قادر على إحياء الأموات.

قال ـ تعالى ـ: **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [فصلت:

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠٤ ـ ٤٠٧، ورسائل في العقيدة ص ٣٣ والقيامة الكبرى ص٧٣-٨٦.

٣٩] وقال ـ تعالـى ـ: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝٩ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ۝١١ ﴾ [ق: ٩ - ١١].

رابعاً: منزلة الإيمان بالبعث من الدين:

الإيمان بالبعث داخل ضمن الإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالغيب عموماً.

ولا يخفى أهمية ذلك، وعظيم منزلته من الدين ـ كما سبق ـ ومما يدل على منزلته ما ورد فيه من النصوص الكثيرة التي مضى شيء منها.

ومما يدل على أهميتـه ـ أيضاً ـ أن الله ـ عز وجل ـ أقسم على وقوعه، وأثنى على المؤمنين به، وأخبر أنه وعد صادق، وخبر لازم، وذمَّ المكذبين بوقوعه.

خامساً: حكم إنكار البعث:

إنكار البعث كُفْرٌ بالله ـ عز وجل ـ ومنكر البعث كافر بالله ـ تبارك وتعالى ـ وبرسله وبكتبه، وباليوم الآخر.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾ [النمل: ٦٧].

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الرعد: ٥].

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ زَعَمَ الذينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن: ٧].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: قال الله تعالى: «**كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني عبدي ولم يكن له ذلك؛ فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني الله كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد، لم ألد، ولم أولد، ولم يكن لي كفواً أحد**»[1].

* * *

(١) رواه البخاري (٤٩٧٥).

المبحث الثالث

القيامة: والحساب، والميزان، ونشر كتب الأعمال

أولاً: القيامـــة:

قال الإمام الطحاوي ـ رحمه الله ـ: «ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض، والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب، والعقاب». [١]

أ - تعريف القيامة: القيامة اسم من أسماء اليوم الآخر.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ «وهي في العربية مصدر قام يقوم، ودخلها التأنيث للمبالغة على عادة العرب». [٢]

ب - سبب تسميتها: اختلف في تسميتها على أربعة أقوال:

الأول: لوجود هذه الأمور فيها.

الثاني: لقيام الخلق من قبورهم إليها.

الثالث: لقيام الناس لرب العالمين.

الرابع: لقيام الروح والملائكة صفاً. [٣]

ج - عظم ذلك اليوم: يوم القيامة يوم عظيمٌ أمره، شديدٌ هولُه، لا يلاقي العبد مثله، ومما يدل على ذلك ما يلي:

١- أن الله ـ تعالى ـ وصفه بالعظم، قال ـ جل وعلا ـ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٤٠٤.

(٢) التذكرة ص ٢٤٦.

(٣) انظر التذكرة.

أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين: ٤ ، ٥].

٢- وصفه بالثقل ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٧].

٣- ما يكون فيه من الرعب والفزع؛ فالمرضع تذهل عما أرضعت، والحامل تضع حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى.

٤- انقطاع علائق الأنساب في يوم القيامة.

٥- أن الكفار مستعدون في ذلك اليوم لبذل كل شيء في سبيل الخلاص من العذاب.

٦- أن ذلك اليوم طويل ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].[1]

د - **دنو الشمس من الخلائق:** في ذلك اليوم تدنو الشمس من الخلائق كمقدار ميل، ويلجمهم العرق؛ فمنهم من يبلغ كعبيه، ومنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم من يبلغ ثدييه، ومنهم من يبلغ ترقوته، كل على قدر عمله،[2] وهذا في الصحيحين وغيرهما.[3]

قال بعض السلف: «لو طلعت الشمس على الأرض كهيئتها يوم القيامة لأحرقت الأرض، وذاب الصخر، وجفت الأنهار».[4]

---

(١) انظر القيامة الصغرى ص ٩٥-٩٩.

(٢) انظر التذكرة ص٢٧٢ ـ ٢٧٧، ومجموع الفتاوى ٣/ ١٤٥.

(٣) انظر البخاري (٦٥٣٢) ومسلم (٢٨٦٣).

(٤) انظر التذكرة ص٢٧٢.

هـ - الذين يظلهم الله في يوم القيامة: هناك أعمال كثيرة تنجي من أهوال يوم القيامة.[١]

أما الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله فقد جاءوا في حديث السبعة عند البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل معلق قلبه في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**».[٢]

* * *

---

(١) انظر التذكرة ص ٢٧٧-٢٧٨.

(٢) البخاري (٦٦٠ و١٤٢٣ و٦٤٧٩ و٦٨٠٦) ومسلم (١٠٣١).

ثانياً: الحساب

أ - تعريف الحساب في اللغة: الحساب لغة مأخوذ من مادة حسب؛ فالحاء والسين والباء أصل صحيح يدل على عدة معان، منها العد، والإحصاء.[1]

ب - الحساب في الشرع: هو إطْلاعُ الله عِبادَه على أعمالهم يوم القيامة، وإنباؤهم بما قدموه من خير وشر.[2]

ج- الأدلة على إثبات الحساب[3]: الحساب ثابت بالكتاب والسنة، وإجماع المسلمين.

أما الأدلة من الكتاب والسنة فكثيرة متواترة.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦].

وكان النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقول في بعض صلاته: **«اللهم حاسبني حساباً يسيراً»**.

فقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: ما الحساب اليسير؟

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة ٢/ ٥٩، ولسان العرب ١/ ٣١١.

(٢) انظر لمعة الاعتقاد ص١١٧، وشرح الواسطية للهراس ص٢٠٩.

(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص٤١١-٤١٢، ومجموع الفتاوى ٣/ ١٤٦ ولمعة الاعتقاد ص١١٧، ورسائل في العقيدة ص٣٠، وشرح الواسطية للهراس ص٢٠٨-٢٠٩.

قال: «أن يُنظر في كتابه، فيتجاوز عنه».[1]

وفي الصحيحين عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «من حوسب عذب».

قالت عائشة، فقلت: «أوليس يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨].

قالت: فقال: «إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك».[2]

أما الإجماع فقد أجمع المسلمون على ثبوت الحساب يوم القيامة.

د - الحساب مقتضى الحكمة: وأما كون الحساب مقتضى الحكمة فإن الله ـ تعالى ـ أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وفرض على العباد قبول ما جاءوا به، والعمل بما يجب العمل به، وأوجب قتال المعارضين له، وأحل دماءهم، وذرياتهم، ونساءهم وأموالهم؛ فلو لم يكن حساب ولا جزاء لكان ذلك من العبث الذي ينزه الرب الحكيم عنه.

وقد أشار الله ـ تعالى ـ إلى ذلك بقوله: ﴿فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ⑥ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ⑦﴾ [الأعراف].[3]

---

(١) أخرجه أحمد ٦/٤٨، وابن أبي عاصم في السنة (٨٨٥)، وقال الألباني في تخريج السنة ٢/٤٢٩: «إسناده صحيح».

(٢) البخاري (١٠٣ و٤٩٣٩ و٦٥٣٦ و٦٥٣٧) ومسلم (٢٨٧٦).

(٣) انظر رسائل في العقيدة ص٣٠.

هـ - **كيفية الحساب وصفته**: دلت نصوص الشرع على كيفية الحساب، وصفته.

ويمكن إجمال ذلك أن يقال: إن الله ـ عزوجل ـ يوقف عباده بين يديه، فيقررهم بذنوبهم التي ارتكبوها، وبأعمالهم التي عملوها، وبأقوالهم التي قالوها، ويعرفهم بما كانوا عليه في الدنيا ومن كفر وإيمان، وطاعة وعصيان، واستقامة وانحراف، وما يستحقونه على ما قدموه من مثوبة أو عقوبة.

والحساب شامل لما يقوله الرب لهم، وما يقولون له، وما يعتذرون به من معاذير، وما يقيمه عليهم من حجج وبراهين، وما يكون هناك من شهادة الشهود، ووزن الأعمال، وما جرى مجرى ذلك.[١]

و - **أنواع الحساب**: الحساب منه العسير، ومنه اليسير، ومنه حساب التقرير والتكريم، ومنه حساب التوبيخ والتقريع، ومنه الفضل والصفح، ومنه المؤاخذة والمجازاة، ومتولي ذلك أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين.[٢]

ز - **القواعد التي يحاسب العباد عليها**[٣]: لو عذب الله ـ عزوجل ـ عباده جميعاً لم يكن ظالماً لهم؛ لأنهم عبيده، وملكه، والمالك يتصرف في ملكه كيف يشاء.

(١ ، ٢) انظر القيامة الكبرى ص١٩٣.

(٣) انظر القيامة الكبرى ٢٠٣-٢١٥.

ولكن الحق ـ تبارك وتعالى ـ يحاسبهم محاسبة عادلة تليق بحكمته، وعدله.

وقد بين لنا ـ عزوجل ـ في كثير من النصوص جملة من القواعد التي تقوم عليها المحاكمة.

ومن ذلك على سبيل الإيجاز ما يلي:

١- العدل التام الذي لا يشوبه ظلم.

٢- لا يؤخذ أحد بجريرة غيره، ولا تزر وازرة وزر أخرى.

٣- إطْلاعُ العباد على ما قدموه من أعمال.

٤- مضاعفة الحسنات دون السيئات

٥- إقامة الشهود على الكفرة والمنافقين

ح - عموم الحساب، ومن لا حساب عليهم: الحساب عام لجميع الناس، إلا من استثناهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما في حديث السبعين ألفاً.

حيث جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**عرضت علي الأمم**» إلى أن قال: «**فنظرت فإذا سواد كثير، قال: هؤلاء أُمتك، وهؤلاء سبعون ألفاً قُدَّامهم لا حساب عليهم ولا عذاب.**

قلت: ولم، قال: كانوا لا يكتوون، ولا يَسْتَرْقُون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون».

فقام إليه عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم.

قال: «**اللهم اجعله منهم**».

ثم قام إليه رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم.

قال: «**سبقك بها عكاشة**».(١)

ط - كيفية محاسبة الكفار: قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ «ويحاسب الله الخلائق، ويخلو بعبده المؤمن، فيقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة.

وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته؛ فإنه لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم، وتحصى، فيوقفون عليها، ويقررون بها، ويخزون بها».(٢)

ي - أول من يحاسب من الأمم: أول من يحاسب من الأمم أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ كما في الصحيحين: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، المقضي بينهم قبل الخلائق**».(٣)

وعن ابن عباس مرفوعا: «**نحن آخر الأمم، وأول من يحاسب**».(٤)

---

(١) البخاري (٦٥٤١) ومسلم (٢٢٠)

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ١٤٦.

(٣) البخاري (٨٧٦) ومسلم (٨٥٥ و٨٥٦).

(٤) أخرجه أحمد ١/ ٢٨٢ و٢/ ٢٧٤ و٣٤٢، وابن ماجة (٤٢٩٠) وقال البوصيري في الزوائد ٣/ ٣١٧: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات».

ك - **أول ما يحاسب عليه العبد:** الصلاة؛ فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله؛ كما جاء عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.[(١)]

ل - **أول ما يُقْضَى بين الناس:** وأما أول ما يقضى بين الناس فهو في الدماء؛ لقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**» متفق عليه.[(٢)]

* * *

(١) انظر سنن الترمذي (٤١٣)، وابن ماجة (١٤٢٦)، والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٢٠).
(٢) البخاري (٦٨٦٤) ومسلم (١٦٧٨).

ثالثاً: الميـــزان

وهو مما يجب الإيمان به من أمور الآخرة، والحديث عنه سيكون من خلال ما يلي:

أ - تعريفـــه:

* **الميزان في اللغة:** أصله مِوْزان، وانقلبت الواو ياء لكسر ما قبلها، وجمعه موازين.

والميزان اسم للآلة التي يوزن بها الأشياء، أو هو ما تقدر به الأشياء خفةً وثقلاً.(١)

* **الميزان في الشرع:** هو ما يضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد.(٢)

ب - أدلة إثبـات الميزان: دل على الميـزان الكتاب، والسنـة، والإجماع.

* **فمن أدلة الكتاب العزيز قوله ـ تعالى ـ:** ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧)﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقوله: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨, ٩].

---

(١) انظر لسان العرب ١٣/ ٤٤٦.

(٢) انظر لمعة الاعتقاد ص ١٢٠.

* **ومن أدلة السنة:** قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**» متفق عليه.[1]

* **وأما الإجماع:** فقد أجمع السلف على ثبوت ذلك.[2]

ج - هل الميزان حسي أو معنوي: الميزان الذي توزن به الأعمال حسي حقيقي، له كفتان، ولسان.[3]

قال شارح الطحاوية ـ رحمه الله ـ: «والذي دلت عليه السنة أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان، مشاهدتان».[4]

وسيأتي مزيد حديث عن ذلك في الفقرة التالية.

د - ما الذي يوزن في الميزان؟: الذي يوزن فيه أعمال العباد؛ فهي وإن كانت أعراضاً إلا أن الله ـ عزوجل ـ يقلبها أجساماً، فتوضع الحسنات في كفة، والسيئات في كفة، وهذا ظاهر النصوص الماضية.

وقيل: الذي يوزن صحائف العمل، وقيل: العامل نفسه[5]؛ لحديث

---

(١) البخاري (٧٥٦٣) ومسلم (٢٦٩٤).

(٢) انظر التذكرة ص٣٦٠-٣٧٣، وشرح العقيدة الطحاوية ص٤١٧-٤١٩، ولمعة الاعتقاد ص١٢٠.

(٣) انظر لمعة الاعتقاد ص ١١٩، والقيامة الكبرى ٢٤٩.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص٤١٧ وانظر الأدلة على ذلك في شرح العقيدة الطحاوية ص٤١٧-٤١٩.

(٥) انظر شرح العقيدة الواسطية للهراس ص٢٠٧، ولمعة الاعتقاد ص١٢١.

أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**إنه ليأتي الرجل السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة**» قال: اقرؤوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] متفق عليه[١].

قال الشيخ العلامة محمد بن عثيمين ـ رحمه الله ـ: «وجمع بعض العلماء بين هذه النصوص بأن الجميع يوزن، أو أن الوزن حقيقة للصحائف، وحيث إنها تثقل وتخف بحسب الأعمال المكتوبة صار الوزن كأنه للأعمال.

وأما وزن صاحب العمل فالمراد به قدره، وحرمته.

وهذا جمع حسن والله أعلم».[٢]

قال شارح الطحاوية ـ رحمه الله ـ : «فثبت وزن الأعمال، والعامل، وصحائف الأعمال، وثبت أن الميزان له كفتان، والله ـ تعالى ـ أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات؛ فعلينا الإيمان بالغيب كما أخبر الصادق ـ صلى الله عليه وسلم ـ من غير زيادة ولا نقصان».[٣]

وقال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «قال أبو إسحاق الزجاج: أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن به يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان، ويميل بالأعمال».[٤]

---

(١) البخاري (٧٤٢٩) ومسلم (٢٧٨٥).

(٢) لمعة الاعتقاد شرح الشيخ محمد بن عثيمين ص ١٢١.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤١٩.

(٤) فتح الباري ٣/ ٥٣٨.

هـ - هل الميزان واحد أو متعدد؟: والجواب أن العلماء قد اختلفوا في ذلك؛ «فقال بعضهم: متعدد بحسب الأمم والأفراد، أو الأعمال؛ لأنه لم يرد في القران إلا مجموعاً.

وأما إفراده في الحديث فباعتبار الجنس.

وقال بعضهم: هو ميزان واحد؛ لأنه ورد في الحديث مفرداً، وأما جمعه في القرآن فباعتبار الموزون، وكلا الأمرين محتمل والله أعلم».[١]

و - ما الحكمة من نصب الميزان؟: الحكمة: إظهار عدل الله ـ عز وجل ـ قال شارح الطحاوية ـ رحمه الله ـ: «ويا لخيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة ـ كما أخبر الشارع ـ لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال، والفوال!

وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزناً.

ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله ـ سبحانه ـ لجميع عباده؛ فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله؛ من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين؛ فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه؟».[٢]

* * *

(١) لمعة الاعتقاد شرح محمد بن عثيمين ص١٢١.
(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص٤١٩.

رابعاً: نشر كتب الأعمال[1]

أ - التعريف:

* **النشر في اللغة:** هو فتح الكتاب، أو بث الشيء.

* **وكتب الأعمال:** هي الدواوين، والصحائف التي أحصيت فيها الأعمال.

* **ومعنى نشر كتب الأعمال:** إظهارها يوم القيامة، وتوزيعها؛ فآخذ بيمينه، وآخذ بشماله وراء ظهره.

ب - الأدلة على ذلك: لقد دل على نشر كتب الأعمال الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِه (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِه مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِه (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ١٢].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها سألت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ هل تذكرون أهليكم؟

قال: «**أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحدٌ أحداً: عند الميزان، حتى يَعْلم أيخِفُّ ميزانه أم يثقل، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع**

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٣/ ١٤٦، ولمعة الاعتقاد شرح الشيخ محمد بن عثيمين ص١٢٢-١٢٣، وشرح الواسطية للهراس ص٢٠٤-٢٠٦، أعلام السنة المنثورة ص١٠٧-١١٠.

كتابه في يمينه أم في شماله أم وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهراني جهنم حتى يجوز».[1]

ج - صفة أخذ الكتاب: المؤمن يأخذ كتابه بيمينه يؤتاه من أمامه، فيفرح ويستبشر ويقول: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩].

والكافر يأخذه بشماله ويؤتاه من وراء ظهره، فيدعو بالويل والثبور، ويقول: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦)﴾ [الحاقة: ٢٥، ٢٦].

* * *

---

(١) أخرجه أبو داوود (٤٧٥٥) والحاكم ٤/٥٧٨، وقال: «صحيح إسناده على شرط الشيخين لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة»، ووافقه الذهبي.

المبحث الرابع

الحوض، والصراط

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي ـ رحمه الله ـ: «ونؤمن بالبعث . . . والصراط والحوض» .[١]

أولاً: الحــــوض:

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي ـ رحمه الله ـ : «والحوض ـ الذي أكرمه الله تعالى به عياناً لأمته ـ حق» .[٢]

أ – تعريفـــه:

* **الحوض في اللغة:** هو مصدر الفعل حاض، أي جمع، والحوض: مجتمع الماء، وجمعه أحواض، وحياض.[٣]

* **الحوض في الشرع:** هو حوض الماء النازل من الكوثر في عرصات القيامة للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.[٤]

ب – أدلتـــه: دل على الحوض الكتاب والسنة، وإجماع أهل السنة.

* **أما الدليل من الكتاب فقوله ـ عزوجل ـ لنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ:**

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٤٠٤.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص٢٢٧

(٣) المرجع السابق.

(٤) لمعة الاعتقاد شرح الشيخ محمد بن عثيمين ص١٢٣ .

*** أما من السنة فقد تواترت الأحاديث في ذلك.**

قال شارح الطحاوية ـ رحمه الله ـ: «الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر، رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابياً».[١]

ومن الأحاديث الواردة في ذلك قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**إني فرطكم على الحوض من مرَّ عليَّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، لَيَرِدَنَّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم**» متفق عليه.[٢]

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: لما عرج بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى السماء قال: «**أتيت على نهر حافَّتاه قباب اللؤلؤ مجوفاً، فقلت: ما هذا يا جبريل؟.**

قال: هذا الكوثر» متفق عليه.[٣]

*** أما الإجماع** فقد أجمع أهل السنة على ذلك.[٤]

ج- صفتـــه: الذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: أنه حوض عظيم، ومورد كريم يُمَدُّ من شراب الجنة من نهر الكوثر.

ماؤه أشد بياضاً من اللبن والورِق، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب من ريح المسك، آنيته كنجوم السماء، وهو غاية في الاتساع، عرضه شهر، وطوله شهر وزواياه سواء، وكلما شُرِب منه

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٢٧.

(٢) البخاري (٦٥٨٣ و ٧٠٥٠)، ومسلم (٢٢٩٠).

(٣) البخاري (٤٩٦٤)، ومسلم (١٦٢).

(٤) انظر لمعة الاعتقاد ص ١٢٤، وشرح الواسطية ٢١٠-٢١١.

وهو في زيادة واتساع، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً، ينبت في خلاله من المسك والرضراض من اللؤلؤ وقضبان الذهب، ويثمر ألوان الجواهر.[١]

إلى غير ذلك مما ورد في وصفه مما جاءت به الأحاديث.[٢]

د - من أين يستمد آنيته: يستمدها من الجنة كما جاء موضحاً في الأحاديث، ومنها ما جاء في صحيح مسلم عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله! ما آنية الحوض؟.

قال: «**والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء، وكواكبها ألا في الليلة المظلمة المصحية، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله ما بين عـمَّان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل**».[٣]

وفي مسلم من حديث ثوبان - رضي الله عنه - وسئل عن شرابه، فقال - صلى الله عليه وسلم -: «**يَـغُتُّ فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب، والآخر من ورق**».[٤]

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ٢٢٨، ومجموع الفتاوى ٣/ ١٤٦، وشرح الواسطية ٢١٠.

(٢) انظر على سبيل المثال صحيح البخاري (٦٥٨٣ و٧٠٥٠ و٧٠٥١ و٦٥٩٣ و٧٠٤٨ و١٣٤٤)، ومسلم (٢٢٩٠ و٢٢٩٢ و٢٢٩٣ و٢٢٩٨ و٢٢٩٩).

(٣) مسلم (٢٣٠٠).

(٤) مسلم (٢٣٠١).

هـ - هل الحوض خاص بنبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ؟: جاء في بعض الأحاديث أن لكل نبي حوضاً، ولكن حوض نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أكبرها، وأعظمها، وأحلاها، وأكثرها وارداً.(١)

ومن الأحاديث الواردة في ذلك قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **«إن لكل نبي حوضاً، وإنهم ليتباهون أيهم أكثر واردة، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة»**.(٢)

و - هل الحوض موجود الآن؟: نعم هو موجود، والدليل قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه البخاري ومسلم عن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرج يوماً فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: **«إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، والله إني لأنظر إلى حوضي الآن»** الحديث.(٣)

ز - الواردون للحوض، والمردودون عنه: الواردون للحوض هم المؤمنون، الصادقون، المتبعون والمردودون عنه هم المُحْدِثون، المبدِّلون الناكصون على أعقابهم.

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **«أنا فرطكم على الحوض،**

---

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٢٨، ولمعة الاعتقاد ص١٢٥.

(٣) رواه الترمذي (٢٤٤٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٨٩)، وقال في شرح الطحاوية ص٢٢٨ (حسن).

(٤) البخاري (١٣٤٤ و٣٥٩٦ و٤٠٤٢ و٦٤٢٦ و٦٥٩٠) ومسلم (٢٢٩٦)

وَلأُنَازِعَنَّ أقواماً، ثم لأغْلَبَنَّ عليهم؛ فأقول: يارب! أصحابي، أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» متفق عليه.[1]

وجاء في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ: **«فيقال: إنك لا تدري ما عملوا بعدك، فأقول: سحقا، سحقا لمن بدّل بعدي»**.[2]

وجاء في صحيح مسلم ـ أيضاً ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: **«فيقول: إنك لا تدري ما عملوا بعدك، ما زالوا يرجعون على أعقابهم»**.[3]

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ بعد أن أورد بعض الأحاديث في الحوض: قال: «قال علماؤنا ـ رحمة الله عليهم ـ: فكل من ارتد عن دين الله، أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله، ولم يأذن به ـ فهو من المطرودين عن الحوض، المبعدين عنه.

وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين، وفارق سبيلهم، كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها؛ فهؤلاء كلهم مُبدِّلون.

وكذلك الظلمة المسرفون في الجور، والظلم، وتطميس الحق، وقتل أهله، وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر، المستخِفُّون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والبدع.

---

(١) البخاري (٦٥٧٥ و٦٥٧٦)، ومسلم (٢٢٩٧).
(٢) مسلم (٢٢٩١).
(٣) مسلم (٢٢٩٤).

ثم البعد قد يكون في حال، ويقربون بعد المغفرة إن كان التبديل في الأعمال، ولم يكن في العقائد.

وعلى هذا التقدير يكون نور الوضوء يعرفون به، ثم يقال لهم سحقاً.

وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يظهرون الإيمان، ويسرون الكفر، فيأخذهم بالظاهر، ثم يكشف لهم الغطاء، فيقول لهم: سحقاً، سحقاً.

ولا يخلد في النار إلا كافر، جاحد، مبطل ليس في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان». [١]

* * *

(١) التذكرة ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣.

ثانياً: الصــراط

أ - تعريفـه:

* **الصراط في اللغة:** هو الطريق المستقيم.[١]

* **الصراط في الشرع:** هو الجسر الممدود على جهنم؛ ليعبر الناس عليه إلى الجنة.[٢]

ب - أدلة ثبوته: الصراط ثابت بالكتاب، والسنة، واتفاق أهل السنة.[٣]

* **فمن الأدلة من الكتاب:** قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: ٧١].

فسرها جماعة من السلف بالمرور على الصراط، وفسرها جماعة منهم بالدخول في النار لكن ينجون منها.[٤]

* **ومن الأدلة من السنة ما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري الطويل، وفيه: «ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة،**

---

(١) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص٢٨٧.
(٢) انظر شرح العقيدة الواسطية للهراس ص٢١٠، ولوامع الأنوار البهية ٢/ ١٨٩، ولمعة الاعتقاد شرح الشيخ محمد بن عثيمين ص١٢٦.
(٣) انظر التخويف من النار لابن رجب ص٢٤٢-٢٥٣، ولوامع الأنوار البهية ٢/ ٨٢ ولمعة الاعتقاد ص١٢٦.
(٤) انظر التذكرة ص٣٨٧، وشرح العقيدة الطحاوية ص٤١٦.

ويقولون: اللهم سلم سلم».[١]

ج - صفة الصراط: جاءت صفة الصراط في أحاديث عديدة منها ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري الطويل، وفيه: «قيل يا رسول الله! وما الجسر؟ قال: «**دحْضٌ مزلة، فيه خطاطيف، وكلاليب، وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان**».

قال أبو سعيد: «بلغني أن الجسر أدقُّ من الشعـرة، وأحدُّ من السيف».[٢]

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة الطويل، وفيه: «**وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟**

قالوا نعم يا رسول الله.

قال: «**فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم؛ فمنهم الموبق بقي بعمله، أو المُوثَق بعمله، ومنهم المُخَردل، المجازى، أو نحوه**».[٣]

د - ورود الناس على الصراط: ورودهم عليه يعني مرورهم عليه، وورودهم عليه على قدر أعمالهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «والصراط منصوب

---

(١) البخاري (٤٥٨١ و٤٩١٩) ومسلم (١٨٣).

(٢) المرجع السابق.

(٣) البخاري (٧٤٣٧) ومسلم (١٨٢).

على متن جهنم، وهو الجسر[١] الذي بين الجنة والنار، يمر الناس عليه على قدر أعمالهم؛ فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدواً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يخطف خطفاً، ويلقى في جهنم؛ فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، فمن مر على الصراط دخل الجنة»[٢].

وكلام شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ مأخوذ من الأحاديث الصحيحة التي بينت صفة الورود على الصراط.

ومن تلك الأحاديث ما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الطويل، وفيه «**فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب؛ فناجٍ مسلَّم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم**»[٣].

هـ- **من أول من يعبر الصراط؟**: أول من يعبره من الأنبياء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

ومن الأمم أمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

يقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**فأكون أنا وأمتي أول من**

(١) الجسر الذي بين الجنة والنار هو القنطرة أو الجسر الثاني ـ كما سيأتي ـ .

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ١٤٦-١٤٧.

(٣) مضى تخريجه.

يجيز ولا يتكلم يؤمئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم».[١]

و - **هل يمر الكفار بالصراط؟**: الذي دلت عليه الأحاديث أن الصراط إنما ينصب للمؤمنين، وفيهم المنافقون، وعصاة المؤمنين؛ فهؤلاء هم الذين ينصب لهم الصراط.[٢]

قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ: «واعلم أن الناس منقسمون إلى مؤمن يعبد الله لا يشرك به شيئا، ومشرك يعبد مع الله غيره؛ فأما المشركون فإنهم لا يمرون على الصراط، وإنما يَقَعون في النار قبل وضع الصراط».[٣]

ز - **القنطـرة**: وهي التي بين الجنة والنار، ويسميها بعض العلماء الصراط الثاني.[٤]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بعد أن تكلم على المرور بالصراط: «فإذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فَيُقْتَصُّ لبعضهم من بعض؛ فإذا هذبوا، ونقوا أذن لهم في دخول الجنة».[٥]

* * *

(١) رواه البخاري (٧٤٣٧) ومسلم (١٨٢).
(٢) انظر القيامة الكبرى ص٢٧٥.
(٣) التخويف من النار ص٢٣٢، وانظر القيامة الكبرى ص ٢٧٥ - ٢٧٦.
(٤) انظر التذكرة ص ٣٩٢-٣٩٤.
(٥) مجموع الفتاوى ٣/١٤٧.

المبحث الخامس

الجنـة والنـار

أ - تعريف الجنة:

* **الجنة في اللغة:** هي البستان الكثير الأشجار؛ فهي كل بستان ذي شجر كثير يستر بأشجاره الأرض.(١)

* **الجنة في الشرع:** هي دار النعيم التي أعدها الله في الآخرة للمؤمنين المتقين، المخلصين لله، المتبعين لرسله.(٢)

ب - لم سميت بذلك؟: قال الراغب الأصفهاني: «وسميت الجنة إما تشبيهاً بالجنة في الأرض وإن كان بينهما بون.

وإما لستره نعَمها عنا المشارَ إليها بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾(٣) [السجدة: ١٧].

ج - تعريف النار:

* **في اللغة:** تقال للَّهيب الذي يبدو للحاسَّة، وللحرارة المجردة، ولنار جهنم، ولنار الحرب.(٤)

---

(١) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٩٦.

(٢) انظر لمعة الاعتقاد ص ١٣١.

(٣) معجم مفردات الفاظ القرآن ص٩٦.

(٤) انظر لمعة الاعتقاد ١٣١.

* **وفي الشرع**: هي دار العذاب التي أعدها الله في الآخرة للكافرين الذين كفروا بالله، وعصوا رسله.[١]

د - الجنة درجات، والنار دركات: فأهل الجنة تتفاوت درجاتهم في النعيم بحسب أعمالهم الصالحة.

وأهل النار تتفاوت دركاتهم في العذاب بحسب أعمالهم السيئة.[٢]

هـ - مَنْ أهل الجنة، ومَنْ أهل النار؟: أهل الجنة كل مؤمن تقي، وأهل النار كل كافر شقي.

قال الله ـ تعالى ـ في الجنة: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقال: ﴿**أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ**﴾ [الحديد: ٢١].

وقال في النار: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٤].

وقال: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ**﴾ [هود: ١٠٦].

و - الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن: قال الله ـ تعالى ـ في الجنة: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٣] وقال في النار: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٤].

والإعداد: التهيئة.

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين صلى الكسوف: «**إني رأيت الجنة، فتناولت منها عنقوداً، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا،**

---

(١) انظر لمعة الاعتقاد ١٣٣، والجنة والنار د.عمر الأشقر ص ١٥٤ ـ ١٦٠.

(٢) انظر لمعة الاعتقاد ص١٣٣، والجنة والنار ص٢٥، وانظر تفاصيل ذلك في التذكرة ص٤٢٥-٦٠٢.

ورأيت النار؛ فلم أر كاليوم منظراً أفظع منها» متفق عليه.[١]

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي ـ رحمه الله ـ: «والجنة والنار مخلوقتان».[٢]

قال الشارح ابن أبي العز الحنفي ـ رحمه الله ـ: «اتفق» أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن».[٣]

ز - **الجنة والنار لا تفنيان:** قال الله ـ تعالى ـ: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [البينة: ٨].

والآيات في تأبيد خلود الجنة كثيرة، وأما في النار فذكر في ثلاثة مواضع:

في النساء في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء: ١٦٨ ، ١٦٩].

وفي الأحزاب في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٦٤ ، ٦٥].

وفي الجن في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

---

(١) البخاري (١٠٥٢) ومسلم (٩٠٧).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٢٠، وانظر تفصيل ذلك في شرح العقيدة الطحاوية ص٤٢٠ ـ ٤٢٢، ولمعة الاعتقاد ص١٣١.

(٣) كسابقه.

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي ـ رحمه الله ـ في الجنة والنار: «ولا تفنيان ولا تبيدان».[١]

قال شارح الطحاوية ـ رحمه الله ـ: «هذا قول جمهور الأئمة من السلف والخلف.

وقال ببقاء الجنة وبفناء النار جماعة من السلف والخلف».[٢]

ح - **مكان الجنة:** في أعلى عليين؛ لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ**﴾ [المطففين: ١٨].

وفي حديث البراء بن عازب المشهور في فتنة القبر، فيقول الله ـ عز وجل ـ: «**اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض**».[٣]

ط - **مكان النار:** في أسفل سافلين؛ لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ**﴾ [المطففين: ٧] وفي حديث البراء ـ رضي الله عنه ـ: «فيقول الله ـ تعالى ـ: **اكتبوا كتاب عبدي في سجين في الأرض السفلى**».[٤][٥]

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٤٢٤، وانظر تفصيل ذلك ص٤٢٤ ـ ٤٣٢، ولمعة الاعتقاد ص١٣٢، وانظر ـ أيضاً ـ الرد على من قال بفناء الجنة والنار وبيان الأقوال في ذلك لشيخ الإسلام ابن تيمية دراسة وتحقيق د. محمد بن عبدالله السمهري.

(٢) المرجع السابق

(٣) سبق تخريجه

(٤) سبق تخريجه

(٥) انظر لمعة الاعتقاد ١٣٢-١٣٣.

ي - ما معنى الإيمان بالجنة والنار؟: معناه التصديق الجازم بوجودهما، وأنهما مخلوقتان الآن، وأنهما باقيتان بإبقاء الله لهما، لا تفنيان أبداً ولا تبيدان.

ويدخل في ذلك الإيمان بكل ما احتوت عليه الجنة من النعيم، وما احتوت عليه النار من العذاب الأليم.[١]

ك - الشهادة لأحد بالجنة أو النار: لا يُشهد لأحد مُعَيَّن من أهل القبلة بالجنة أو النار إلا عن طريق النص، ذلك أن الشهادة بالجنة أو النار موقوفة على الشرع، وليس للعقل فيها مدخل؛ فمن شهد له الشارع بذلك شهدنا له، وما لا فلا، لكننا نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء.[٢]

ل - أقسام الشهادة بالجنة أو النار: تنقسم الشهادة بالجنة أو النار إلى قسمين: عامة، وخاصة

فالعامة: هي المعلقة بالوصف، كأن نشهد لكل مؤمن بأنه في الجنة، أو لكل كافر بأنه في النار، أو نحو ذلك من الأوصاف التي جعلها الشارع سبباً لدخول الجنة أو النار.

والخاصة: هي المعلقة بشخص، مثل أن نشهد لشخص معين بأنه في الجنة، أو لشخص معين بأنه في النار؛ فلا نعين إلا ما عينه الله ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

---

(١) انظر أعلام السنة المنشورة ص١١٥.

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٧٨، ولمعة الاعتقاد ص١٤٤.

م - **أمثلة للمعينين من أهل الجنة:** العشرة المبشرون بالجنة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وسعيد بن زيد، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، والزبير بن العوام ـ رضي الله عنهم ـ.

وكذلك الحسن، والحسين، وثابت بن قيس بن شماس، وعكاشة ابن محصن ـ رضي الله عنهم ـ.[(١)]

ن - **أمثلة للمعينين من أهل النار:** أبو لهب عبدالعزى بن عبدالمطلب، وامرأته أم جميل أروى بنت حرب أخت أبي سفيان.

وكذلك أبو طالب، وعمرو بن لحي الخزاعي، وغيرهم.[(٢)]

فهؤلاء المبشرون بالنار، ومن جاء قبلهم من المبشرين بالجنة جاء النص في شأنهم.

* * *

---

(١) انظر لمعة الاعتقاد ص ١٤٥-١٤٧، وشرح العقيدة الطحاوية ص٣٧٨.

(٢) المرجع السابق

خلاصة البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد:

ففي خاتمة البحث هذه خلاصة تجمل ما ورد فيه.

١- اليوم الآخر هو يوم القيامة الذي يبعث فيه الناس للحساب والجزاء.

٢- الإيمان بذلك اليوم يعني التصديق الجازم بإتيانه، وبجميع تفاصيله، والعمل بموجب ذلك.

٣- للإيمان باليوم الآخر أهمية عظمى؛ إذ هو أحد أركان الإيمان، ولكثرة وروده في نصوص الشرع، ولكثرة ارتباطه بالإيمان بالله، ولكثرة الثناء على المؤمنين به، والذم للكافرين به، ولكثرة أسمائه، والمؤلفات فيه.

٤- الإيمان باليوم الآخر يثمر ثمرات جليلة، وأخلاقاً جميلة، وعبوديات متنوعةً، وآثاراً حميدة تعود على الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة.

٥- ورد في الكتاب وقفة حول مصطلح «السمعيات».

وهي: كل ما ثبت بالسمع ـ أي بطريق الشرع ـ ولم يكن للعقل فيه مدخل.

٦- ورد في الكتاب وقفات حول «العقل»

والعقل: نور روحاني، به تدرك النفس العلوم الضرورية، والنظرية.

٧- للعقل في الإسلام منزلة عليّة، ووظيفة عظمى، وحدود يجب أن يقف عندها.

٨- العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح.

٩- الموت ضد الحياة، والموت يأتي فجأة.

١٠- البرزخ في كلام العرب: هو الحاجز بين الشيئين.

وفي الشرع: هو الدار التي تعقب الموت إلى البعث، والذي يشرف فيه أهله على الدنيا والآخرة.

١١- القبر مدفن الإنسان.

١٢- فتنة القبر: هي سؤال الملكين الميتَ بعد دفنه عن ربه، ودينه، ونبيه.

١٣- الصحيح أن الأمم السابقة تفتن في قبورها، وأن الكافر يفتن في قبره، وأن الأطفال وغير المكلفين كذلك يمتحنون.

١٤- نعيم القبر وعذابه اسم لنعيم البرزخ وعذابه، وهو نتيجة لفتنة القبر؛ فنعيم القبر للمؤمنين الصادقين، وعذابه للظالمين من المنافقين والكافرين.

١٥- تواترت الأخبار في إثبات عذاب القبر ونعيمه، وكذلك وردت إشارات في القرآن تدل على ذلك.

١٦- يجب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه بلا كيفية.

١٧- عذاب القبر ونعيمه شامل لمن قبر أو لم يقبر.

١٨- فتنة القبر يفهمها ويجيب عن سؤال الملكين من يعرف العربية، ومن لا يعرفها.

١٩- عذاب القبر ونعيمه على البدن، والروح معاً.

٢٠- عذاب القبر على نوعين:

أ - دائم: للكافرين.

ب- منقطع: لبعض العصاة.

٢١- الروح: جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي، خفيف، حي، متحرك، ينفذ في الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورود، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم.

٢٢- الروح التي في البدن هي النفس.

٢٣- الجسد مسكن الروح، وهي تسري الجسد كله.

٢٤- الروح مخلوقة.

٢٥- الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت.

٢٦- الموقف الصحيح من أشراط الساعة أن نؤمن بما جاء من النصوص في شأنها، وألا نكلف أنفسنا في استدعائها وطلبها، وتنزيلها على الواقع، بل ندع تفسيرها للواقع.

٢٧- الساعة في الاصطلاح الشرعي: هي الوقت الذي تقوم فيه القيامة.

٢٨- أشراط الساعة: هي علاماتها، وأعلامها التي تسبقها، وتدل على قربها، وقيامها، ومجيء الساعة بعدها، وانتهاء الدنيا، وانقضائها.

٢٩- تنقسم أشراط الساعة إلى قسمين:

أ - صغرى: وهي التي تتقدم الساعة بأزمان متطاولة، وتكون من نوع المعتاد.

ب- كبرى: وهي الأمور العظام التي تظهر قرب قيام الساعة، وتكون غير معتادة الوقوع.

٣٠- إذا ظهر علامة من علامات الساعة الكبرى تتابعت الآيات الأخرى كتتابع الخرز في النظام؛ بغض النظر عن ترتيبها.

٣١- من أشراط الساعة الكبرى الدالة على قربها المهدي المنتظـر، والمسيح الدجال، ونزول عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ وخروج يأجوج ومأجوج، والخسوف.

٣٢- من أشراط الساعة الكبرى الدالة على حصولها: الدخان، وطلوع الشمس من مغربها، والدابة، والنار التي تحشر الناس، وقد ورد في البحث تفصيل لذلك كله.

٣٣- ورد في البحث تفصيل لأحوال القيامة من النفخ في الصور، والبعث، والحساب، والميزان، ونشر كتب الأعمال، والحوض، والصراط، والجنة، والنار.

هذا ما يسر الله تقييده في ذلك الشأن، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

* * *

المحتويـات

الفصل الأول
في البرزخ والروح

الفصل الثاني
أشراط الساعة

الفصل الثالث
من أحوال القيامة وأخبارها